الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ٨٠ – ١٤ يناير سنة ١٩٣٥ – السنة الثالثة

3 me Année, No. 80. — Lundi-14-1-1935

الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع المبدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
ص
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الأعلانات يتفق عليها مع الأدارة

العـــدد ٨٠ — « القاهرة فى يوم الاثنين ٩ شوال سنة ١٣٥٣ — ١٤ يناير سنة ١٩٣٥ » — السنة الثالثة

فهرس العـــدد

أســـبوع حافل ...

أسبوع حافل ! ابتدأ بعيد الدين وانتهى بعيد الدنيا ! فأوله (عيد الفطر) ، وآخره (عيد الوطن) ، وفيما بينهما كان عيد الميلاد ومؤتمر البلاد ومهرجان القرش !

أسبوع حافل ! كان فيه للدين سبب ممدود وشمل جامع ، وللحرية يوم مشهود ومظهر رائع ، وللوطنية لواء معقود ومُجْتَلًى فخم ، وللسياسة شعب محشود وأمر ضخم ، وللقومية أمل منشود وعمل صالح !

جرى كل أولئك على أروع ما يقع فى الذهن ويتمثل فى الخاطر ، لشعور الناس بشمول الأمن ، ويقظة العـدل ، وقيام القانون ، وفوز الديمقراطية ، واتساق الأمر بين الفرد والجماعة ، واتفاق الرأى بين الحكومة والأمة ؛ وكانت النفوس فى عهد المحنة قد تغشَّاها من الدخائل السود قَتام وسُحُب ، فلا تكاد ترى على حواشى الأفق الضيق المحدود إلا جنود الرهبة ، وقيود الذلة ، وسجون القهر ، ثم تنفس بها الزمن البطىء على هذه الحال الأثيمة حتى قنعت بالدون ، ورضيت بالهُون ، وذهلت عما وراء الأفق ؛ فلما تهتكت الحجب عن وجه الحق ، وتفككت الأغلال عن

حرية الشعب ، فسعى غير مقيّد ، وعمل غير مراقَب ، وقال غير متهَم ، عاد الناس فوجدوا شعور الكرامة ، وسورة الاستقلال ، وأنفة الحى المريد ، وهزة المتصرف المطلق ، فزهاهم النصر ، واستطارهم الفرح ، وتقلبوا سبعة أيام فى الدعة ، يتبسطون على الأنس ، ويتعللون على الدهر ، ويتدللون على الحكومة ، ويوازنون بين حالهم بالأمس وحالهم اليوم ، فيعجبون كيف زاغت القلوب ، وفسدت الطباع ، وسفهت الأحلام ، وغارت هذه المباهج والمرافق والمظاهر كلها فى قرارة قلب فارغ !

***

إن القلوب لأضيق فى هذا الأسبوع من أن تسع هذا الفيض الذى يتدفق فيها من كل جانب : ففى (مدينة رمسيس) وجوه البلاد ونواب الشعب وزعماء الأمة يعرضون مناهج السياسة على المشورة ، ويُقلِّبون أنظمة الاصلاح على الرأى ، ويعلنون الخادع والمخدوع أن مصر الخالدة لا تزال متماسكة على مضض المحن ، سليمة على عنت الجور ، مؤتلفة على عبث الاغراء ، تُعوَّق ولا تضل ، وتُعذَّب ولا تذل ، وتحارب ولا تستكين

كانت الآلاف الأربعون فى سرادق المؤتمر الوطنى أشبه بالأسراء فك أغلالهم النصر ، أو بالسجناء كسر أقفالهم الثورة ! فهم يتعانقون على السلامة بعد البلاء ، ويتصافقون على الجماعة بعد الفرقة ، ويتنادرون بجلادى العهد الباغى وسُجانه وقد أصبحوا اليوم روّاد المنى وحراس العدالة ! أليس هذا شرطى الأمس الذى كان ينظر بالنار ، ويتكلم بالحديد ، ويتجنى على الناس الذنوب ، ويتمنى على الأحداث الجرائم ؟ ما باله اليوم وديعاً كالعدل ، نزيهاً كالقانون ، رفيعاً كالدولة ، رفيقاً كالمواطن ؟ تباركت يا ألله ! أهكذا تتبدل الأوضاع وتتغير الطباع فى بحر يوم وليلة ؟ !

***

وفى معرض الجزيرة جماعة (عيد الوطن الاقتصادى) يُفيضون من نشاط الصبى وطموح الشباب على الناحية الضعيفة المخوفة من نواحى الوطن : تلك هى الناحية الاقتصادية التى اقتحمها المستعمرون تحت لواء السلم والمال فاحتلوا المدن ، واستغلوا القرى ، وامتهنوا القومية ، وامتحنوا الأخلاق ، وحولوا مجارى الثروة المصرية الى السفن الأجنبية والمصارف الأوربية ، وخلفوا أهلها يكابدون الدين ، ويعانون الفقر ، ويشكون العطلة ، ويقاسون المذلة . فطن هؤلاء الشباب الأطهار إلى هذا الخطر الوبيل والداء الدخيل فصمدوا له فى ميدانه المشتبه الواسع ، واستنفروا القاعدين من أصحاب الأموال ، والجامدين من أرباب التجارة ، ونشروا الدعاية بمختلف الوسائل للانتاج الوطنى ، وضحوا بجهودهم الكثيرة ، ونقودهم القليلة ، وأوقاتهم الباقية من الدرس ، على رصد الأهبة ، وتنظيم العمل ، وتدبير المال ، وضمان الفوز ، حتى توجوا هذا الجهد الجاهد بهذا المهرجان الذى أقاموه ، وذلك المعرض الذى نظموه ، فكان المهرجان عيداً للعيد ، والمعرض حجة للآمل ، والعمل كله فخراً لأهليه

***

وفى حديقة الأزبكية عيد (جمعية القرش) تجاهد فى الانشاء جهاد عيد الوطن فى الدعاية . وقد نفضت — كتلك — على بِلى النفوس جدة الربيع ، ونقاء الفطرة ، وجمال الحداثة ، فانتشر متطوعوها الأبرار فى المدينة يجمعون القروش بالتوسل والتذلل والالحاف ليفتدوا بها حرية الوطن الأسير

فجماعة الوطن وجمعية القرش ومؤتمر الشعب ائتلاف منسجم من عناصر البلاد ومناهج الجهاد ومناحى الغرض : فالشباب بجانب الكهول ، والاقتصاد بجانب السياسة ، واللذة بجانب المنفعة ، والحكومة بجانب الأمة ؛ وكل هذه الصور الرائعة إنما تتألق وتتراءى فى إطار روحى شعرى تألف من عيد الفطر للمسلمين ، وعيد الميلاد للأقباط !

أسبوع حافل ! كان فيه للدين سبب ممدود وشمل جامع ، وللحرية يوم مشهود ومظهر رائع ، وللوطنية لواء معقود ومُجْتلَى فخم ، وللسياسة شعب محشود وأمر ضخم ، وللقومية أمل منشود وعمل صالح ! !

وإن عاماً يكون عنوانه هذا الانقلاب ، وطالعه هذا اليمن ، واستهلاله هذا النشيد ، لآية من الله على انجلاء الغمة ، واهتداء الغرائز ، وارعواء الغى ، وانكشاف الطريق

احمد حسن الزيات

ذكريات وتجارب

أول درس ألقيته ... *

أبداً لا أنسى تلك الساعة الرهيبة العصيبة التى ألقيت فيها أول درس فى أول فصل ! كان ذلك منذ سبعة عشر عاماً والسن حديثة والنفس غريرة والنظر قصير ، وكانت المدرسة ثانوية أجنبية ، تجمع أخلاطاً من الأجناس والأديان ، وأنماطاً من الأخلاق والتربية ، وكنت قد أدركت قسطاً من العلم النظرى على الطريقة الأزهرية ، وشدوت طرفاً من التعليم الفنى على الطريقة اللاتينية ، إلا أن ما حصلت منهما كان لا يزال طافياً فى ذهنى ، متحيراً فى فكرى ، لا يطمئن إلى ثقة ، ولا يستقر على تجربة ! أضف ذلك إلى طبع حَيىّ ، ولسان من الخجل عيى ، ووجه للقاء الناس هيوب !

قضيت موهناً من الليـل فى إعداد الدرس : أراجع مادته وأرسم خطته وأسدد خطاه ، ثم احتفلت لكلام أقابل به التلاميذ قبل التمهيد للدرس ، وغدوت إلى المدرسـة أقرع باب الأمل المرجو ، وأستطلع ضمير الغيب المحجب . دق الجرس فجاوبه قلبى بدقات عنيفة كادت تقطع نياطه وتشق لفائفه ، وقمت أجر رجلى وبجانبى مفتش الكلية جاء يقدمنى إلى الطلبة . دخلنا الفصل فحيانا التلاميذ بالوقوف ، وقال المفتش فأطال القول وأجزل الثناء ، ثم خرج وبقيت ! !

أقسم أنى أقول الحق وإن كنت أجد بشاعة طعمه ومرارة مذاقه على لسانى ! لقد نظرت إلى التلاميذ نظرة حائرة ، ثم رجعت إلى نفسى أحاول إخراج ما فيها من الكلام المهيأ المحفوظ ، فكأن ذاكرتى صحيفة بيضاء ، وكأن لسانى مضغة جامدة لا تحس !

السكون شامل رهيب ، والأبصار شاخصة ما تكاد تطرف ، ووجوه الشباب ترتسم عليها ألوان مختلفة متعاقبة من خطرات النفوس ونزوات الرءوس ، وأنا واقف منهم موقف المحكوم عليه ، أعالج فى نفسى الخور والحصر ، وأجهد فى لم ما تشتت من ذهنى وتبدد من قواى ، حتى هدانى الله إلى طريق الدرس ، فاعتسفته اعتسافاً دون مقدمة ولا تمهيد ولا عرض ! !

أتريد أن تعفينى يا صديقى من وصف هذا الدرس صوناً لسر المهنة ؟ ولكن لماذا نتدافن الأسرار ونتكاتم العيوب ؟ إن فى الدلالة على أوعار الطريق ومضايقها ومزالقها تحذيراً للسالك البادئ ، وتبصرة للناشئ الغرير

* * *

بدأت الدرس بصوت خافض وطرف خاشع ولسان مبلبل ، وسرت فيه وأنا واقف ، لا أدنو من السبورة مخافة أن أحرك سكون الفصل ، ولا ألمس الطباشير خشاة أن أسيء الكتابة ! !

كان من المعقول أن يعاودنى الهدوء ويراجعنى الثبات بعد زوال دهشـة الدخول وربكة البدء لو كنت واثقاً من نفسى متمكناً من درسى ، ولكن نظام الموضوع كان قد انقطع فتبعثرت حباته وتعثرت خطواته ، ورحت أسرد ما تذكرته منه وأنا أشعر بكلماتى تحتضر على شفتى ، وبريقى يجمد فى فمى ، وبعرق يتصبب على جبينى ، حتى فرغت ، ثم جلست أبلع ما بقى من ريقى ، ونظرت فاذا الساعة لم يمض نصفها ، وإذا التلاميذ يتلاحظون ويتهامسون وعلى كل شفة بسمة خبيثة لولا تعوُّد النظام وقوة التهذيب لعادت قهقهة صاخبة ! !

ماذا أقول بعد أن نفد القول ؟ وبماذا أملأ الفراغ الباقى من الوقت ؟ وكيف أؤخر انفجار هذه الضحكات المكظومة ؟ أسئلة كانت تضطرب فى خاطرى القلق فلا أجد لها جواباً غير الحيرة !! حتى تطوع تلميذ جرىء (لانقاذ الموقف) فقال :

« احك لنا حكاية يا افندى بأى ! »

ولم تكد شفتاى تنفرجان عن مشروع الرد حتى ابتدرنى آخر :

« لأ يا افندى ، اتكلم لنا شويه إنشا شفهى »

وآخر : « حضرتك حتديّنا على طول ؟ »

وآخر : « اسم حضرتك إيه يا افندى ، والله انت راجل طيب ! ! »

وآخر : « فلان صوته جميل يا افندى ، خليه يغنى شويه »

فقطعت سيل هذه الأسئلة التجنية الساخرة بهذه الجملة الحيية المتواضعة :

— على كل حال كاد الوقت ينتهى فلا يتسع لشىء من هذا :

* من كتاب (فى أصول الأدب) وسيصدر قريباً

ولكن صوتاً أشبه بصوت القدَر قد انبعث من أقصى الحجرة يقول :

«أوه ! دا لسه ساعة وربع ! حصة العربى ساعتين كل يوم !»

— ساعة وربع ؟ ؟ نعم ساعة وربع ! أقضيها على هذه الحال الأليمة كما شاء نظام (الفرير) ، أو كما قضى الجد العاثر والطالع المشئوم ! ! وإذن لامناص من انفجار البركان ووقوع الكارثة !

* * *

كأنك تريدنى على أن أسوق إليك بقية القصة ! !

حنانيك ! لا تكلفنى هذه الخطة ، واعتمد على نفسك وحدسك فى التخبر والاستنتاج ! !

لقد انحل النظام فتشعث الأمر وانتشر ؛ وأذكر أنى حاولت الكلام مراراً فلم أسمع صوتى من اللغط ! فجعلت قيادى فى يد (أولادى) ثم سكت حتى نطق الجرس ! !

خرجت من الفصل أميد من الهم وأجر ذيل الفشل السابغ الضافى ، وفى نفسى أن أترك التعليم وهو حديث صباى ومنتجع هواى الى عمل آخر يصلح لى وأصلح له ! !

ولكني عدت الى الفصل ، ومضيت فى التعليم ، وكنت بعد شهرين اثنين مدرس الفصل الأخير وأستاذ الكلية الأول !

فما الذى جعل من اليأس أملاً ، ومن الفشل فوزاً ، ومن الضعف قوة ؟

إسمح لى أن أكون صريحاً فيما كان لى ، كما كنت صريحاً فيما كان على

لقد التمست الوصلة الى النجاح فى أسباب خمسة كلها معلوم بالضرورة مؤيد بالطبع ، ولكن العلم غير العمل ، والرأى خلاف العزيمة ، والتجربة وجود الفكرة وواقع الحقيقة

(١) **مواصلة الدرس وإدامة النظر** — فلم أترك كتاباً فى المواد التى أدرسها حتى تقصيته أو ألممت به واستفدت منه . وكان جدوى ذلك علىَّ وثوق الطلبة بما أقول ، وظهور التجديد فيما أعمل ، وتصريف الدرس وتنويعه على ما أحب . ولن تجد أشفع للمدرس من سعة اطلاعه وغزارة مادته

(٢) **اعداد الدرس وأداؤه** — وكان يعنيني على الأخص ربطه بالدروس السابقة ، والسير فيه مع الطلاب خطوة خطوة على الطريقة الاستنتاجية (inductive) ، ثم تلخيصه بطريق الأسئلة . فكان من حسن اعداده أن ملأت الوقت كله به ، فلم يعد فيه فراغ لعبث عابث ولا تجنى سفيه ، وجررت اليه أذهان الطلاب بالتشويق والتطبيق والسؤال فلم يصبهم سأم ولا ضيق ، وشغلتهم به عن أنفسهم وعنى فلم يفرغوا لاصطياد نكتة ولا لالتماس غميزة . وليس أعون على حفظ نظام الفصل من ملء الوقت بالمفيد الممتع ، ولا أضمن لجودة شرح المعلم وحسن استماع التلميذ من فهم الموضوع

(٣) **مسايرة الترقى** — فلم أتشبث بالقديم ، ولم أتعصب للكتاب ، ولم أُعْنَ إلا بما له قيمة عملية . فالموضوعات منتزعة من حياة التلميذ وحال المجتمع ، والأمثلة مستنبطة من أساليب العصر ومواضعات أهله ، والبحث حر فى حدود المنطق ، يقوم على أساس التحليل والنقد والموازنة . وفى تشابه الفكرة والنزعة والغاية توثيق الصلة بين المعلم والمتعلم

(٤) **حسن الخلق** — ولعمرى ما يؤتى المعلم إلا من إغفاله هذه الجهة . فالادعاء والتظاهر ، والكبرياء والتفاخر ، والبذاء والتنادر ، والكذب والتحيز ، والكسل والتدليس ، آفات العلم وبلايا المعلم . وما استعبد النفس الشابة الحرة كالخلق الكريم ، ولا يَسَّر تعليمها وتقويمها كالقدوة الحسنة . ناهيك بما يتبع ذلك من جمال الأحدوثة واستفاضة الذكر ، وهما يزيدان فى قدر المعلم واعتباره ، ويغنيان التلاميذ الجُدُد عن اختباره

(٥) **قوة الحزم** — فكنت ألين فى غير ضعف ، وأشتد فى غير عسف ، وأسير بالطالب إلى الواجب عن طريق ضميره وحسه ، لا عن طريق تأنيبه وحبسه ، وأجعل رضاى عنه غاية ثوابه ، وسخطى عليه غاية عقابه ، وأعده الوعد فلا أذهل عن تنجيزه ، وأحكم عليه الحكم فلا أنكل عن تنفيذه ، وأستعين على فهم عقليته ودرس نفسيته بانشائه فأعامله بما يوائمه ، وأعالجه بالدواء الذى يلائمه

* * *

كل ذلك يسعده طبع غالب ، ورغبة حافزة ، ومران طويل ، وقدَر من الله جعلنى أجد سعادتى وراحتى فى الفصل وبين الطلاب ، أكثر مما أجدهما فى البيت وبين الأصحاب

ولكن المعلمين وا أسفاه كما بدأهم الله يعودون ! فليت شعرى هل يكون الدرس الأخير فى مبدإ مماتى ، كما كان الدرس الأول فى مبدإ حياتى ؟

الزيات

الثورة على الاسلام

حرب منظمة
يشهرها الكماليون على الاسلام

للأستاذ محمد عبد الله عنان

تشهر تركيا الكمالية على الأسلام حرباً لا روية فيها ولا هوادة؛ وقد رفع الزعماء الكماليون اليوم القناع كاملاً بعد أن رفعوا من قبل طرفاً منه، وظهرت سياستهم نحو الاسلام في ثوبها الحقيقي؛ ودخلت هذه الحرب المنظمة التي يشهرونها على الاسلام في طورها الايجابي بعد أن كانت تقف عند طورها السلبي؛ وقد اتخذت هذه الحرب منذ البداية وما زالت تتخذ ثوب «المدنية والتمدين» أعني تحرير تركيا من كل طابع ولون ديني، وصبغها في كل مظاهرها الرسمية والعامة بالصبغة المدنية. ولو وقفت سياسة أنقرة حقاً عند هذه الغاية لما كان ثمة مجال للريب في صدق نياتها؛ فان الاسلام، كالنصرانية، لا يحول دون اصطباغ الدولة بالصبغة المدنية المحضة؛ وأمم أوربا النصرانية التي تقلدها وتتشبه بها تركيا الجمهورية — إذا استثنينا روسيا البلشفية — لا تجد أية غضاضة في ولائها للنصرانية، وإن كانت أشد وأعرق «مدنية» من تركيا الجمهورية؛ ولم تذهب أية دولة أوربية — سوى روسيا البلشفية — في مطاردة الدين الى الحد الذي تذهب اليه حكومة أنقرة؛ وحكومة أنقرة لا تطارد العقيدة الدينية لذاتها، ولكنها تطارد الاسلام، وكل ماءمت اليه بنوع خاص؛ وإذا كانت تطارد اللغة العربية وكل مظاهرها في الكلام والكتابة، فليس ذلك لتحرير اللغة التركية من العناصر الأجنبية فقط، ولكن لأن اللغة العربية هي قبل كل شيء لغة القرآن، ولغة الاسلام الأولى

وقد بدأت الثورة الكمالية على الاسلام منذ قيام الجمهورية التركية ذاتها، أعني منذ نحو عشرة أعوام، وكانت في مرحلتها الأولى تتخذ صورة الاصلاح الديني أو المدني، وكانت سلبية لا تسفر عن نزعتها الهدامة؛ ولم يكن في خطواتها الأولى مثل إلغاء الخلافة، وحل الجماعات الدينية والصوفية، وفرض الثياب المدنية والقبعة، مايثير الأذهان المسلمة المستنيرة؛ فقد كانت جميعاً تتتبع جهود تركيا الجديدة في سبيل التجديد القومي والاجتماعي بمنتهى الاعجاب والعطف؛ ولم يك ثمة مايحمل على الاعتقاد بأن هذه النزعة الاصلاحية في ظاهرها ستتحول غير بعيد الى نزعة إلحادية بعيدة المدى، والى فورة تعصب على الاسلام تقصد الى الهدم المطلق. ولكن حكومة أنقرة لم تقف في مخاصمة الاسلام عند حد؛ وكانت خطوات جديدة ظاهرة المغزى في سبيل محو معالمه: إلغاء النص الذي أدرج في دستور الجمهورية الأول بأن تركيا دولة مسلمة، وإباحة القانون المدني التركي الجديد زواج النصراني من المسلمة، ثم تحريم الأذان وتلاوة القرآن في المساجد بالعربية؛ ولم يك ثمة حتى في هذه المرحلة مايثير كبير شك في نيات حكومة أنقرة وخصومتها المضطرمة للأسلام وعقائده وذكرياته ومظاهره؛ وكانت كلمات الاندفاع والتطرف والأغراق تتردد من جانب أولئك الذين مازالوا يحسنون الظن بأنقرة ويعطفون على جهودها وأمانيها. ولكن الكماليين لم يلبثوا أن رفعوا القناع بعد ذلك؛ وانتدبت حكومة أنقرة لجنة لاصلاح العبادات ومظاهرها (سنة ١٩٢٨) وأذيع يومئذ أن اللجنة ترى أن تكون الصلاة في المساجد، كالصلاة في الكنائس، وأنه لا بأس أن يؤدي المؤمنون صلاتهم وقوفاً أو جلوساً على المقاعد، وأن تطربهم الموسيقى، وأن تعزف لهم الأدعية والنصوص كما تعزف «آفي ماريا» أو «باترنوستر»، وأن تكون صلاة المسلمين على العموم في مظاهرها كقداس النصارى، وكان لأذاعة هذه الاقتراحات وقع عميق في الرأي العام التركي ذاته؛ ولما رأت أنقرة أنها تذهب بعيداً بهذه الاقتراحات أنكرتها وكذبتها، وحملت تبعاتها للجنة التي وضعتها؛ أما الرأي العام الاسلامي فما كان ليدهشه شيء بعد من تصرفات الكماليين، ومع ذلك فقد وقف مدى لحظة ذاهلاً أمام هذا الاجتراء الآثم، يلمس النزعة الهدامة التي تملي على عصبة أنقرة سياستها نحو الاسلام وكل تراثه

ثم كانت حركة أنقرة ضد اللغة العربية والكتابة العربية؛ واتخذت هذه الحركة كسابقاتها ثوب الاصلاح والتجديد القومي؛ وقيل إن كتابة التركية باللاتينية بدلاً من العربية وسيلة إلى ذيوعها وتحريرها من ثوبها العتيق، وإن اللغة التركية غنية

بأصولها وموادها القومية فهى ليست بحاجة إلى العربية تشتق منها وتستعين بها ؛ وإذا فيجب أن تحرر من جميع الألفاظ العربية الدخيلة ؛ ووضعت الفكرة موضع التنفيذ بسرعة ، فالغيت الكتابة العربية ، واستعملت الكتابة اللاتينية بقوة التشريع ؛ وسارت الحركة لنفى الألفاظ والأصول العربية بسرعة ، واتخذت أحياناً بعض المظاهر المغرقة ؛ فقد حدث مثلاً أن أستاذاً بالجامعة التركية خطب فى المؤتمر الذى عقد منذ أشهر لهذا الغرض فنوه بأهمية استمرار التعاون والعلائق بين التركية والعربية ، فغضب الغازى مصطفى كمال — وكان من شهود المؤتمر — وغادر المؤتمر فى الحال ، وفى اليوم التالى عوقب الأستاذ بالعزل والحرمان ؛ وفى الجلسة التالية صفق الغازى لأستاذ آخر ذكر فى خطابه أن اللغة العربية لغة دخيلة ، وأن التركية أعرق أصولا من العربية ولها عليها فضل الاعارة والاشتقاق ؛ ومع ذلك فان اللغة التركية ، رغم هذه الجهود والمناظر الحماسية ، التى تعرب عن الحقد والتعصب والجهل ، بأكثر مما تعرب عن رغبة الاصلاح الحقيقى ، لم تستطع أن تستغنى بنفسها ، وما زالت تستعير — طبقاً للقرارات الرسمية — من بعض اللغات الأوربيـة لتسد ما بها من نقص وثغرات . ولم تكن الحركة حركة إصلاح خالص ، بل إن لها كما قدمنا مظهراً آخر غير مظهرها الاصلاحى ؛ فاللغة العربية هى لغة القرآن ، ولغة الاسلام الأولى ؛ ولما كانت حكومة أنقرة تعمل على مطاردة الاسلام وكل مظاهره بكل ما وسعت ، فيجب أيضاً أن يختفى هذا المظهر ؛ ثم يجب أن تختفى الأسماء العربية — وهو مظهر آخر لهذه الحركة — حتى يكون الانقلاب تاماً ، وحتى لا يبدو فى أفق تركيا الكمالية ، بمضى الزمن ما يثير ذكرى العربية والاسلام

وقد حملت الينا البرقيات الأخيرة نبأ جديداً ، هو أن حكومة أنقرة قررت أن تعمل لازالة منارات المساجد ، وأنها ستبدأ بازالة المنارات العتيقة وتقيم فى مساجدها مصانع ، فاذا صح هذا النبأ فانه يكون دليلاً جديداً على أن هذه الجهود المتوالية التى تبذلها حكومة أنقرة لمحو معالم الاسـلام فى سائر مظاهره الشخصية والعامة إنما هى سياسة مقررة متصلة الحلقات

***

والآن لنحاول أن نتعرف أسباب هذه الحرب المضطرمة التى يشهرها الكماليون على الاسلام ؛ ولنلاحظ أولاً أن تركيا الجمهورية تحذو فى تلك الحرب اللادينية المنظمة حذو روسيا البلشفية ، وهى الدولة الغربية الوحيدة التى تشهر الحرب على النصرانية وتطارد كل مظاهرها . ولم يقع هذا الشبه عرضاً بين الدولتين اللادينيتين ؛ ولكنه يقوم على نفس المبادئ ونفس الروح الثورية واللادينية المشتركة ؛ وقد كانت روسيا البلشفية أكبر عضد للكماليين فى حرب التحرير التركية وفى العمل على بعث تركيا المحتضرة ، ولا نبالغ إذا قلنا إن تركيا الجمهورية مدينة بحياتها للبلاشفة . ولم يبذل البلاشفة هذا العون للكماليين حباً بتركيا ، ولكنه كان قطعة من برنامجهم فى محاربة الاستعمار البريطانى ، وقد كان غزو اليونان لتركيا مشروعاً بريطانياً تعاونه بريطانيا وتحميه ، وكان عون البلاشفة للكماليين بكل الوسائل المادية والمعنوية منذ قيام الحرب التركية اليونانية حتى عقد معاهدة لوزان فصلاً من فصول الصراع بين البلاشفة والاستعمار البريطانى ؛ وكان طبيعياً أن يكون لوحى موسكو ونفوذها أكبر الأثر فى توجيه حكومة أنقرة ، وأن توثق المصالح المشتركة بين روسيا البلشفية وتركيا الكمالية ؛ وأشد ما يبدو وحى موسكو فى ناحيتين : سياسة تركيا الخارجية ، فهى قطعة لا تتجزأ من برنامج السياسة البلشفية ، تردد فيها تركيا خطوات موسكو فى كل شئ : فى السياسة الشرقية والسياسة الأوربية ، وفى مخاصمة عصبة الأمم ثم الالتحاق بها (على أثر التحاق روسيا) ؛ وروسيا تشد بأزر تركيا فى كل مظاهرة دولية ؛ وتركيا تؤيد روسيا فى مواقفها نحو الدول الغربية ، وتركيا تعرف أنها مدينة بحياتها لروسيا ، وأن هذه الحياة تتوقف على ارادة روسيا ، فهى لا تستطيع أن تحيد عن برنامج السياسة الروسـية ؛ وثانياً — فى الناحية الثورية ، فحكومة أنقرة مازالت حكومة ثورية على مثل حكومة موسكو ، وهى تحذو حذوها فى تطبيق مبادئ الهدم والاباحة الى أبعد الحدود ؛ واذا استثنينا الناحية الاقتصادية ، أعنى تطبيق الفكرة الشيوعية التى يرى الكماليون بحق أن تركيا ليست ميداناً صالحاً لتجربتها ، كانت الثورة الكمالية الاجتماعية والدينية صورة من الثورة البلشفية فى هـذه الميادين ؛ وكما أن النزعة

الالحادية تسود الثورة البلشفية ، فكذلك الثورة الكمالية تسودها هذه النزعة ؛ واذاً فان هـذا الألحاد الذى يطبع كل تصرفات الكماليين ، وهـذه الاباحة التى يغرقون فيهـا ، وهذه الحرب اللادينية المستعرة التى يشهرونها ترجع فى كثير من وجوهها الى غرس أساتذتهم ومدربيهم سادة موسكو ؛ على أن الفكرة الثورية والالحادية ليست كل شيء فى سياسة الكماليين ، فهنالك بواعث أخرى تحفزهم الى هذه البغضاء المتأججة نحو الاسلام . ذلك أن الكماليين يرون أن الاسلام كان سبباً فى كل ما أصاب تركيا القديمة من المحن التى أودت بسلطانها وقوتها ، وأن صفتها الاسلامية هى التى أثارت الدول الغربية ضدها خلال العصور المختلفة وجمعت كلمتها على محاربتها ومقاومتها ، وأنها لولا هـذه الخصومة التى أثارها الاسلام فى نفوس الأمم الغربية لبقيت دولة قوية ولم تبدد قواها فى حروب ومعارك خالدة ؛ ولهذا يمعن الكماليون فى ثورتهم ضد الاسلام ويزعمون أن تركيا تستطيع بذلك أن تنزع تاريخها وماضيها وصفتها الأسيوية ، وأن تدخل بذلك فى عداد الدول الغربية

وقد كان الاسلام حقاً من العوامل التى أثارت أوربا النصرانية وجمعت كلمتها ضد الدولة العثمانية فى أحيان كثيرة ، ولـكنه لم يكن بهذا الاعتبار مسئولاً عما أصاب الدولة العثمانية من المحن وضروب الانحلال والتفكك بقدرما تسئل عنه السياسة الغاشمة والأساليب الهمجية المخربة التى سارت عليها هذه الدولة طوال عصور تاريخها ، وعجز الترك المطبق عن أن يكونوا عاملاً من عوامل الأنشاء فى صرح الحضارة الحديثة . هذا ، ومن جهة أخرى ، فقد لقى الاسلام على يد الدولة العثمانية الذاهبة أعظم نكبة نزلت به فى العصر الحديث ، ولقيت الحضارة الاسلامية الزاهرة فى مصر والأمم العربية مصرعها على يد هذا الغزو الوندلى الذى لبثت ترزح فى أغلاله وظلماته مدى قرون أربعة ؛ ولم تكن الفتوحات التركية سواء فى الشرق أو الغرب سوى فورات مخربة تحمل وراءها الويل والدمار أينما حلت ؛ وعلى ضوء هذه الحقائق وحدها يجب أن يرجع الكماليون عوامل انحلال تركيا الذاهبة

* * *

ومهما يكن من أمر البواعث التى تحفز الكماليين الى هذه الخصومة المضطرمة نحو الاسلام ، فان الاسلام أقوى وأرسخ من أن يتأثر بمثل هذه الفورات العصبية الطارئة ؛ وقد صمد الاسلام وما زال يصمد لخصومة الغرب كله مع ما يحشده الغرب لغزوه من العوامل والوسائل الخطرة . ذلك أن الاسلام قوى بعقائده ومبادئه وخلاله المستنيرة ، قوىّ بتسامحه الخالد ، قوى بتراثه المجيد . ولن يضير الاسلام أن تسقط من عداده تركيا الكمالية ؛ واذا كان الاسلام لم يعتز قط بتركيا يوم كانت دولة قوية شامخة ، فـكيف يحاول اليوم أن يعتز بهذه البقية الضئيلة من تركيا القديمة ؟ على أن هنالك حقيقة يجب أن يذكرها الكماليون ، وهو أن تركيا عاشت فى العصر الأخير على تراث الاسلام ؛ وقد كان نفوذ الاسلام المعنوى عاملاً قوياً فى بعثها الجديد ، وفى تطور السياسة الأوربية نحوها ، وإقالتها من الفناء الذى كان مقضياً به عليها . أما اليوم فان العالم الاسلامى الذى كان بالأمس يحبو تركيا بعطفه وتأييده المعنوى — والمادى فى أحيان كثيرة — لا يهمه اليوم شيء من أمر تركيا الكمالية ومصايرها ، ومن المحقق أنه سيقف وقفة المتفرج يوم تدلهم الخطوب ، وتعود المعارك القديمة الى الاضطرام

محمد عبد الله عنان
المحامى

المطـــــلوب

مديرة بيت ... !

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى

« أفلسنا والله يا صاحبى ! »

« وأى افلاس يا أخى ؟ لكأن الدنيا أقفرت ... »

« والعمل ؟ »

« العمل ؟ تسألني ما العمل ؟ »

« لقد كنتُ أقول دائماً وأؤكد للمرتابين من إخواننا ، إنك آيةٌ من آيات الله فى الذكاء وصحة الادراك ! نعم أسألك ما العمل ؟ »

« وهل أنا أعرف ؟ »

« لا رأى تشير به ؟ ... لا حيلة تتحيلها ؟ »

« حيلة ؟ هل تعني ... »

« لا بأس ! لا بأس ! أرح نفسك . كم ساعتك الآن ؟ »

« ساعتى ؟ »

« هذا أقل ما يمكن أن أنتفع بك فيه »

« ساعتى يا سيدى ... انتظر أقل لك ، ساعتى ... س ... سُرقت ! »

فنهض الأول عن كرسيه بلا كلام ، ومضى الى المكتب ، فجلس اليه وتناول ورقة وأكب عليها وراح يكتب

***

جرى هذا الحديث فى حجرة واسعة اتخذها للنوم هذان الصاحبان ، ووضعا فيها سريريهما وحقائبهما وكتبهما وأدواتهما وأشياءها الأخرى ، فلو رأيتها — أى الغرفة — لحسبتهما آيبين من سفر . وكان ثم حجرتان أخريان فى مسكنهما ، ولكنهما كانا لا يستعملانهما أو ينتفعان بهما إلا فى الندرة القليلة ، إذا زارهما من لم ترتفع بينه وبينهما الكلفة ، فكانت هذه الحجرة الفسيحة للنوم والمطالعة والطعام والشراب والسمر ، واللهو أيضاً . ولو شاءا لاتخذا بيتاً أكبر وأوسع ، ولأثثاه بما هو أوثر وألين ، ولكنهما كانا يؤثران الخشونة ، وينفران من التطرّى والرخاوة ، ويستقبحان أن يكونا مترفين وإن كثر المال فى أيديهما . وكانا ظريفين لا يعدلهما أحد فى ظرفهما ، وقد تآخيا على أصفى ود وأتم مداخلة ، فهما خليط وأمرهما فى كل شئ واحد ، لا يختلف ولا يتعدد .

ونهض الأول عن المكتب وفى يده ورقة يتأملها ، ومشى متمهلا إلى صاحبه حتى إذا بلغ مكانه دفع بالورقة إليه فقرأ فيها

« مطلوب : »

« مديرة لبيت ، ويشترط أن تكون متعلمة وخبيرة ، والأجر يُتفقُ عليه . والرد يكون باسم السيدة نينا شقراوى بجريدة الكوثر بالقاهرة »

ثم سأل : « ما هذا ؟ »

قال : « هذا ؟ هذا إعلان ! ماذا يمكن أن يكون غير ذلك ؟ »

فسأله : « ولكن ماحاجتنا إلى من تدير لنا بيتنا ؟ ألسنا ندبر أموره القليلة على أحسن وجه ؟ »

قال : « يا صاحبى ، ليس هذا من شأنك . ولا تخش أن أثقل كاهلك بهذه المديرة المطلوبة . إنما أريد أن أداوى نفسى وأعالج إفلاسها ، وأملأ هذا الفراغ الذى أحسه فى قلبى »

قال الآخر : « ولكن . . . . »

فقاطعه ذاك « لا تعترض يا صاحبى ، فليس عليك بأس من ذلك . »

وخرج ، فمضى إلى صاحب « الكوثر » وكان صديقه ، فناوله الاعلان

فسأله هذا : « أهى السيدة التى . . . ؟ »

قال : « لا ، بل غيرها ، وقد كلفتني أن أقوم عنها بالأمر ، فكم تطلب أجراً للنشر ؟ »

فأبى الرجل أن يتقاضى أجراً

***

وجاءت ردود ، بعضها تليفونى ، والبعض رسائل ، فأما التليفونية فأهملها وأبى أن يُعنى بها أو يتقبلها ، وأما الرسائل فكانت ثلاثاً حملها معه إلى البيت ، وهناك فضها وجلس يتدبرها هو وصاحبه ، ويحاول أن يستنبيء الخط والأسلوب عسى أن يعرف منهما — على التقريب — سن الكاتبة وحظها من الجمال .

فتعلقا بواحدة تقول كاتبتها إنها تعلمت فى انجلترا ، وأنها حذقت هذا الفن — فن ادارة البيوت — على مهرة الأساتذة والمعلمات

وقال الذى سمى نفسه فى الاعلان « نينا شقراوى »

« فلنتبع » أسلوب « شرلوك هولمز » . إنها تقول إنهـا تعلمت فى انجلترا ، فلا شك أنها صغيرة السن ، لأن ارسال البنات إلى انجلترا ليتعلمن لا يزال إلى اليوم غير مألوف ، ولم يبلغ أن يكون سنّة ، كارسال الفتيان ؛ ثم ان التى تذهب إلى انجلترا لتتعلم لابد أن يكون أهلها ذوى مال ، وقد تحتاج يا صاحبى أن تسأل — لأنك ذكىّ جداً — لماذا إذن تريد أن تكسب رزقها بعرق جبينها ؟ والجواب أنهما فرضان لا أرى لهما ثالثاً : الأول أن يكون المال قد ذهب ، وافتقرت الأسرة بعد اليسر ، والثانى أن تكون الفتاة قد تمردت على أهلها لسبب من الأسباب وتركت البيت ، فهى تنشد العمل لتعيش ، كراهة منها للارتداد إلى أهلها صاغرة ذليلة . واضح ؟ حسن ! فلنكتب إذن الرد »

وقام إلى المكتب فكتب ما يأتى :

« الآنسة المحترمة . . . . .

جاءنى ردك ، وأكون شاكرة لك إذا تفضلت بانتظارى فى تمام الساعة الخامسة مساء من يوم . . . . أمام باب « جروبى » بشارع المناخ

وتحياتى إليك وإلى الملتقى

نينا شقراوى »

وتوخى فى كتابة الرسالة أن يطيل حروفا ويقصر أخرى ، ويجعل زوايا الجيمات والدالات الخ ، حادة ، ويعوج السطور ليجئ الخط أشبه ما يكون بخط النساء

***

ودنا الموعد ، فقال لصاحبه : « قم بنا »

فنظر إليه صاحبه متعجباً وسأل : « ولكن مادخلى أنا ؟ »

قال : « من يدرى ؟ إنه لا يعلم الغيبَ إلا الله ! قم فقد أحتاج إليك . »

ووقفا على الافريز المواجه لباب « جروبى » وصارت الساعة الخامسة ، وإذا بفتاة ممشوقة تقف على الافريز الآخر وترفع عينها إلى باب جروبى ثم تصوّبها إلى الساعة على يدها ، ثم تتلفت

فقال الذى لا دخل له : « هى والله ! قرأت اسم جروبى ، ونظرت فى الساعة . هيا بنا إليها »

فقال صاحبه « بنا ؟ ما شاء الله ! أظنى إنى سمعتك تسألنى ما دخلك فى هذه الحكاية ؟ أم ترى كان غيرك السائل المنكر ؟ »

قال : « إنما أعنى أنه يجب أن تكلمها حتى لا يطول انتظارها فتقلق فتذهب »

قال : « وما يعنيك من قلقها وذهابها ؟ فلتقلق ولتذهب ! »

قال : « ولكن لماذا إذن واعدتها أن . . . . »

قال : « يا أحمق ! إنى أريد — أنفهم ؟ — أريد أن تقلق وتمضى وأزيدك علماً ، فأقول إنى لا أجرؤ أن أكلمها أمام باب جروبى الذى يدخل منه ويخرج كثيرون ممن يعرفوننى . »

وعادت الفتاة فألقت على ساعتها نظرة ثم دارت فمشت . فذهب صاحبنا يعدو خلفها ، حتى إذا دنا منها ناداها باسمها فوقفت وقال :

« معذرة . إن السيدة شقراوى متوعكة ، وقد كلفتنى أن أقابلك »

فقالت الفتاة بابتسامة : « أشكرك ، وأشكرها . لقد خالجنى شك ، فتوهمت لحظة أنى أخطأت . وهل أنت أخوها ؟ »

قال : « أخوها ؟ أوه ! لا ! ابنها فقط . . . »

قالت : « معذرة »

قال : « ألا توافقين على أنى ما زلت شاباً تتدفق الدماء الحارة فى عروقى ؟ »

فضحكت وقالت : « بالطبع . . . وأين البيت ؟ »

فساءه أنها غيرت الموضوع وقال : « البيت ؟ البيت ياسيدتى . . فى . . . فى القاهرة »

فسألته : « أى شارع ؟ »

فقال : « أى شارع ؟ هل ينتظر أن تعرفيه إذا قلت لك إنه شارع البسطويسى ؟ » فقطبت وسألت كالمحتجة المستهجنة « البسطويسى ؟ »

قال : « لم يخطئ ظنى . فتاة مثلك غضة السن جداً — وجميلة أيضاً بالطبع — متعلمة فى انجلترا لا يعقل أن تعرف هذه الشوارع التاريخية »

فسألت باهتمام : « أهو شارع تاريخي ؟ »

قال : « لا شك ! أقدم من التاريخ »

فأحست أنه يتهكم وسألته : « والبيت ؟ ما مساحته ؟ »

فقال : « إيه ؟ مساحته ؟ الحق أقول ، لا أعرف »

قالت : « كم غرفة فيه ؟ »

ولم يكن مما قدر ، أن يجرى الحديث هذا المجرى فقال بعد تردد « كم غرفة ؟ آه . . . أقول لك ياستى . . . ثلاث »

فدهشت وصاحت : « ثلاث فقط ؟ »

فقال : « أراك دهشت ! ولك الحق . فانها غرف فسيحة جداً . . تصلح للرقص ، أو لسباق الخيل »

قالت : « لا تمزح . لقد كنت أظنه بيتاً كبيراً »

فسألها : « أليس كبيراً ؟ إنى أراه كبيراً جداً »

قالت : « ثلاث غرف ! ؟ والخدم ؟ ما عددهم ؟ »

قال : « الخدم ؟ أى خدم ؟ »

قالت : « خدم البيت ! »

قال : « ليس فى البيت خدم ! »

قالت : « ماذا تقول ؟ لا خدم ؟ »

قال : « نعم . . . أعنى لا . . . وأى حاجة بنا إلى الخدم ؟ »

قالت : « أى حاجة ؟ كيف يكون بيت بلا خدم محتاجاً إلى مديرة ؟ »

قال : « ياسيدتى ، لهذا احتجنا إلى مديرة . فالأمر موكول اليك . . . »

قالت : « لقد كان ظني غير ذلك . . . كنت أحسبه بيتاً عظيماً غاصاً بالخدم ، أتولى أموره وأدبر شئونه . . . أما هذا . . . لا . لا أظن أنى أستطيع أن أقبل هذا العمل »

قال : « ألا يحسن أن نميل إلى هذا المحل لنتحدث ونتفاهم . »

قالت بلهجة جازمة : « فى أى شئ نتحدث ؟ لقد قلنا كل شئ »

قال : « لا لا لا . . . بالعكس ، لم نقل شيئاً . . . »

فسألت مستغربة : « أى شئ بقى هناك ؟ »

قال : « بقى أن تراجعى نفسك . . فكرى طويلاً قبل أن ترفضى . الانسانية تدعوك أن تقبلى . . . المروءة تناديك وتناشدك . . . إنى شاب ، والبيت كالصحراء ، بل قلبى أيضاً صحراء . . . ومن الشهامة أن تتولى أمرى . . . أعنى أمورنا . . . وأن تحيلى هذه القفار فراديس وارفة الظلال »

فسألته ضاحكة : « أتريد مديرة أم ساحرة ؟ »

قال : « إيه ؟ آه ! بالطبع . . . ساحرة ؟ أى نعم ساحرة . هذا أحسن . . . ولكنك ساحرة — مافى هذا شك ! ألست موافقة ؟ »

قالت : « على أى شئ ؟ »

قال : « على أنك ساحرة »

قالت : « أوه ! كلا . والآن ، أستأذن . . . »

قال : « تستأذنين ؟ كيف ؟ وبعد أن غصت عليك فى لجة الحياة ؟ »

وعض لسانه من الغيظ ، فقد زل ، وأدركت هى أن فى الأمر غير البيت وإدارته ، فحدقت فى وجهه ثم سألته

« أجبنى — بصراحة . . . ماذا تعنى ؟ »

قال : « أعنى أنك درة وأنه يشق علىّ أنْ أنفض يدى منك بعد أن فزت بك — هذا ما أعنى ، وبصراحة »

قالت : « هل كنت تعرفنى ؟ »

قال مغالطا : « لقد كنت أحلم بك »

فقالت : « والاعلان ؟ »

قال : « الاعلان ؟ لقد انتهينا منه . وقلت إن الأمر لا يوافقك . . . وأنا مصدقك . . . لايسعنى إلا أن أصدقك . . . إنه بيت لايليق بك . . . إنه . . . إنه قبر . . . خراب . . . . دعينا منه فما كنت أتصور أن ترضى عنه . . . . »

قالت : « وبعد ؟ »

قال : « نتكلم فى شيء آخر . . . إنه لا أكثر من المواضيع الصالحة للكلام . . . مثلاً شعرك ، إنه ذهبى جميل ، وأنا أحب الشعر الذهبى ، يفتننى ، يدير رأسى ، ولو استطعت لجمعته كما تجمع طوابع البريد ، وقطع الخزف الثمين ، والسجاجيد الفاخرة . . . وهناك أيضاً موضوع آخر . . . عيناك . . . إنهما نجمان متألقان . . . . »

فصاحت به : « حسبك . وادخر بلاغتك لمن هو أحق بها ،

أعنى لمن له أذنان تصغيان فانى ماضية »

فقال : « وتتركيننى ؟ »

قالت : « آسفة »

قال : « ألا تفكرين ؟ فىَّ أنا على الأقل ! »

قالت : « سأفكر فيك طويلاً »

فقال بلهجة الظافر : « كنت أعلم ذلك »

قالت : « إيه ؟ »

قال : « كنت واثقاً أنك رقيقة القلب »

قالت : لا لا . . . إنما أعنى أنى سأفكر فى جرأتك . . . واسمح لى أن أقول : وفى وقاحتك »

فلم ينهزم وقال : « هذا ذنبك »

قالت مستغربة : « ذنبى ؟ »

قال : « على التحقيق : إنك جميـــلة ، فلماذا أنت جميلة ؟ هذا عذرى ! »

قالت :« آه ! » وهمت أن تمضى عنه

فقال : « وشىء آخر ... يجب أن تعلمى أنه لاقيمة لجمالك»

قالت : « ألم أقل إنك وقح ؟ »

قال : « لاقيمة لجمالك إذا لم يعجب به أمثالى . . . بغيرى تكونين وردة فى صحراء . . . من يشمها ؟ من يتأملها ؟ من يقول ما أحسنها ؟ »

قالت : « ألا تخبرنى من أنت ؟ »

قال : « أو يعنيك أن تعرفى ؟ »

قالت : « بالطبع . . . لأنك أوقح من رأيت فى حياتى »

قال : « كلا ، هناك من هو أوقح . . . أوه بمراحل ! صاحبى هذا الواقف هناك . . . أترينه ؟

سأعود اليه الآن وأبلغه أن له — إذا شاء — أن يشمت بى ، لأنى فشلت »

قالت : « أكانت مؤامرة ؟ »

قال : « لقد نهانى فلم أطع ، وجزرته مني بكرهه ، وفى مأمولى أن أفوز ، فأباهيه وأفاخره ، أما الآن . . . . . »

قالت : « هذه هى الحقيقة ؟ »

قال : « بلا تحريف . وتعالى اليه لتسمعيها منه إذا شئت»

فوقفت تفكر برهة كالمترددة ثم التفتت اليه فجأة وقالت : « هل كنت تعرفنى ؟ »

قال : « سؤال معاد ، وجوابه واحد لايتعدد ولا يتغير »

قالت : « لا تعد الى المزاح »

قال : « أؤكد لك أنى جاد جداً »

قالت : « ولكن كيف وثقت أنى سأرد على اعلانك ! »

قال : « هى مقامرة لا أقل . . . »

قالت : « على كل حال ، لابد أن أمضى الآن »

قال : « ونلتقى مرة أخرى ؟ »

قالت : « ربما . . . لا أدرى . . . »

قال : « اذكرى أنى أعرف عنوانك ، فاذا طال الأمر فلا يبعد أن أغزو دارك فانى كما تعلمين مجنون »

قالت : « لا تفعل . . . احذر »

قال : « لا تخافى . . . مع السلامة . . . »

ورجع إلى صاحبه فقال : « ألا تزال واقفاً ؟ لماذا لم تعد إلى البيت ؟ ما فائدتك هنا ؟ »

فسأله : « ماذا صنع الله بك ؟ »

قال : « وكيف يعنيك هذا ؟ أى دخل لك فيه ؟ »

قال : « قل لى بالله ! »

قال : « ولا تشمت ؟ لا فى السر ولا فى الجهر ؟ »

قال : « أو أخفقت ؟ ؟ مبارك ! مبارك ! الحمد لله ! »

ابراهيم عبد القادر المازنى

كيف استجبت للرسالة ؟

للأستاذ محمد محمود جلال

كان لمجلة « البيان » فى نفسى مكانة ، وكان لها فى أفق الثقافة المصرية مكان . وكنت مما اشتركت فيها أحس من نفسى اغتباط من يؤدى واجباً ، ولا أنكر ما شملنى من سرور يوم نشر الشيخ البرقوقى مقالى الأول بها

ولما احتجبت أحسست لها وحشة ، وأحسست فى جوى بشيء ينقصنى ، ثم طلبته فى مجلداتهـا الأولى ، وإذ أتيت عليها وأخذت نفسى بترتيبها ووضعها فى مكان خاص من المكتبة خالجنى سرور الوفاء بالعهد . ولم يزل لها مكانها وما زلت أذكر بالخير عهدها

لم أكتب فى مجلة منذ احتجابها ، وفى فترات متباعدة كتبت فى المحروسة ، واللواء ، والمقطم . وكنت طوال الوقت أتمنى على الله للبلاد مجلة تسد الفراغ وتأخذ بيد الثقافة

وما كنت لأغمط المجلات الأخرى فضلها على العلم والأدب والتاريخ ، ولكني كنت دائم الأحساس بحاجة البلاد لمجلة تقوم على أساس من الروح المصرية ، وإحياء الصالح من التقاليد الأسلامية ، فتصل العهدين وتنبه الجيل إلى تراث الأولين

ملكت الأمنية على شعورى حتى فكرت عام ١٩٢٦ مع صديقى اسماعيل مظهر وصديق ثالث فى تنفيذ الفكرة برغم مشاغلى وما قد يكون بين عملى وبين ما أعتزم من فوارق ظاهرة . ووصل بنا الحرص على التوفيق بين الأمرين إلى أن نعتزم إصدارها كل ثلاثة أشهر ، ولكن حتى هذه لم تتم ! ! فقد تعجل صديقنا الأمر وأظهر مجلة « العصور » فجاءت أبعد ما تكون عن الأسس التى قدرنا

لكن الله سبحانه وتعالى قدر للأمنية أن تتحقق — وتحققت بالفعل قبل أن أتصل بالرسالة بعام ونيف ، ولكني حرمت هذا الخبز السار حتى كان رأس العام الهجرى الحالى فأراد الله أن يجعل سرورى مضاعفاً ، فأتلقى الخبر فى خير عيد للمسلمين ، بل للأنسانية جميعاً

فبينما أجتاز ميدان الأزهار إذ سمعت بائع الصحف ينادى بالرسالة ، وإذا بى مقبل على شرائها ، فيطالعني العنوان ، وإذا بين يدى عدد ممتاز خصّ به العام الهجرى ، وشرف العدد بأكثر ذكريات التاريخ

طربت حقاً — لأنى أعلم أن هذا التقليد الصالح أهمل منذ الحرب الأخيرة بعد أن كان سنة تحييها أكثر الهيئات — وطربت لأنى أخذت أولادى وبيئتى بالاحتفال بالعام الهجرى ، فأدخر لهم ليومه خير المكافآت و « اللعب » إيقاظاً لهم ، وتقريباً للمعنى الى عقول الصغار

وإنى أقرر اليوم أنى إلى ذلك التاريخ لم أكن أعرف عن صاحب الرسالة شيئاً ، ولم أكن رأيته ، ولم يصلنى به وبأكثر النخبة الصالحة من معاونيه غير الآثار القلمية الرائعة أمتع بها ذهنى بين فرصة وأخرى

فلما قرأت العدد التاريخى شعرت بما خفق له قلبى طرباً ، وأحسست بالفراغ يملأ وبالثغرة تسد

إنما ننشد للبلاد مجلة تنشر مفاخر السلف الكرام فلا ينقطع ما بيننا وبينهم فنضل المنطق . إنما تمنينا مجلة تنشر الصالح قديماً كان أو حديثاً ، تخرج لنا فى لغة سهلة راقيـة ما يأخذ بيـد الأخلاق من عثرتها ، ويكبح جماح الشهوة والغرور ، ويزيل الغشاوة عن الأبصار ، فيبدو لشبابنا الأسلام كما هو ، والأدب العربى كما هو ، وهما أساس الثقافة لمصر الحاضرة ولا أساس غيرهما

وما كدت أظفر بهذا الكنز حتى سارعت به الى أولادى أقرئهم ما يتفق وما يحيون من ذكرى ، وأشرح لهم بعض ما يصعب على أذهانهم — ثم سارعت أكتب الى صاحب الرسالة مشجعاً دون سابق تعارف ، معتقداً أن السكوت بعد ذلك هرب من صفوف الجهاد ، ووعدت فى كتابى أن أنتهز فرصة فراغ لأعود للترسل اذا أتيح لى أن تشرف رسائلى بمثل هذا المكان الكريم

جاءنى الرد بعد قليل فاذا به آية على اختصاره ، وإذا بى ألمس فى كاتبه صدق الأيمان فى كل مسعى ومقصد

أتيح لى فى شهر سبتمبر ان أزور دار الرسالة فأسعد بلقاء صاحبها ، وإذا بى ألمس فى كل قول وفى كل حركة إيماناً صادقاً وأدباً رائعاً جذاباً

استجبت (للرسالة) الغراء وكلها هدى ونور ، وفى يقينى أنها

بين عامين :

نشـــيد الوداع ...

للأستاذ على الطنطاوى

(١) مالت الشمس الى المغيب ، ولم يبق من أشعتها الذهبية إلا خيوط قليلة ، تنفذ من بين قطع الغمام المتناثر حيال الأفق . . . تلقى على العالم نظرة الوداع ، وتقبل جبينه الخاشع قبلتها الأخيرة . . ثم تجود بذمائها الباقى ، وتلفظ نفسها الأخير — كما يلفظ نفسه هذا العام الراحل !

(٢) وكنت أطلّ من شرفة منزلى ـ ومنزلى فى شارع بغداد : على شاطىء الغوطة ، مغنى الغساسنة ، وجنّة الدنيا ، وملهمة الشعر شعراء العرب الأقدمين ـ أطلّ على بساتينها الفيحاء ، وجناتها الواسعة ، التى تحف به من جهاته الأربع ، فأرى الكون فى حزن وكآبة ، وأرى على وجهه صفرة تبدو على أوراق الخريف الذاوية الهشيمة ، وفى عينيه دمعة تترقرق ، تلوح فى ظيّات هذا المزن الرقراق ، وأسمع لقلبه وجيباً ، يسمع من هذه الأغصان التى يتلاعب بها النسيم . . . ثم أنظر إلى نفسى ، فأرى فيها عالماً آخر . . . ولكنه مفعم بالكآبة والغمّ ، كذلك العالم !

(٣) أطلت التحديق فى هذه المشاهد ـ فلم تنفرج لى شفتاها عن الابتسامة التى أحنّ إليها وأرقبها . . . وكنت قد عزمت على المضىّ فى هذا التحديق ، حتى أرى هذه الابتسامة ، فأحتفظ بها بين أحناء ضلوعى ، وفى مثوى الذكريات من نفسى ذكرى سارّة ، تخفف من لوعة الذكر الكثيرة المؤلمة لهذا العام الراحل . . . ولكنّ عزيمتى قد ونت ، وأيقنت أن قلبى المحطّم اليائس لا تشرق عليه أشعّة الابتسامات

(٤) دنت قافلة الحياة السائرة فى بيداء الزمن من محطها ؛ فتباطأت فى سيرها ، وقاربت خطوها ، فأمسيت أشعر بطول هذه الساعات الباقية فى عمر العام ، ورحت أرقب عقرب الساعة الماثلة أمامى ، فلا أراه يتحرك . . فضجرت وتألمت ، وأحسست كأن هذا الفلك يدور وهو عاتق . . .

(٥) . . . بعد ساعة واحدة يُتمّ الفلك دورة جديدة من دوراته التى لا تحصى . فلا يترك بعدها إلاّ أنقاضاً مهدّمة ، وأجساداً محطمة ، وقلوباً مهشّمة ؛ كأنما هو رحى تطحن الأمم والشعوب . . ثم يخرج منها النداء أن : لِدُوا وابنوا وأمّلوا . . ولكن للموت والخراب واليأس !

بعد ساعة واحدة ، ينقضى هذا العام ، فتبتلعه هوة العدم ، ويفتح الماضى ذراعيه ، ليضمّه إلى الأعوام الكثيرة التى مرّت من قبله ، ويؤلفها (رزمة) واحدة ، ثم يلقيها فى بحر الأبدية . . ثم تفنى عند جلال الله الباقى

بعد ساعة واحدة ، يدع هذا العام مكانه من الوجود للعام الجديد ، ثم يذهب فيتبوأ مكانه من عالم العدم !

(٦) بعد ساعة واحدة تختم من هذا العام صفحة كتبت أكثر سطورها بدموع المظلومين ، لتفتح صفحة أخرى ، لا ندرى عنها شيئاً ، ولكنْ فيها ألم وفيها سرور ، وفيها أمل وفيها خيبة ، وفيها ضحك وفيها بكاء . . . . والقدر يضحك أبداً من هـــذا الانسان ، لأنه يراه الظالم ويراه هو المظلوم !

وما الانسان إلاّ عدوّ الانسان . .

يكتب القوى سيرة حياته ، ويملأها بآيات التبجيل والثناء ، ولكن مدادها دموع الأشقياء ، ودماء الأبرياء . . ؛ وينشىء القوى صرح مجده ، ويرفع ذرى عظمته ، ولكن أساسه جماجم المظلومين ، وعظام الشهداء ؛ ويملأ القوىّ بالذهب خزائنه ، ولكن دراهمها قد جمعت من أيدى اليتامى ، وأفواه الفقراء

(٧) بعد ساعة واحدة ، تحط القافلة رحالها ، فنلتفت إلى الوراء فلا نرى إلا ظلاماً ، يلمع فى وسطه نجم من الذكرى ،

فى البلاد ثالثة أعلام النهضة ، فبجانب (مصنع المحلة) فى ميدان الاقتصاد ، و (مستشفى المؤاساة) فى عالم البر والتعاون ، تقوم (الرسالة) حمى الأدب العربى وتراث الاسلام

واذا كان الله تعالى أكرم البلاد بهذه المجلة ، فقد أكرم المجلة بثوب الأخلاق الكريمة الذى أضفاه على صاحب الرسالة ، ولن تنجح رسالة بغير خلق

فالى الأمام أيها الصديق ، وإلى الأمام يا خير الصحف . إنما عيد الرسالة عيد للثقافة العالية ، والدين القويم ، والخلق الكريم

محمد محمود جلال
المحامى

تتبين فيه (العلم المربع الألوان) وهو يخفق على دمشق . فتخفق قلوبنا لجلال الذكرى ، ومرارة الفقد ! فنجول أبصارنا إلى الأمام فلا نرى إلا الظلام . ولكن . . ما هذا النور الذي ينبعث من الأرض فيذهب صعداً في السماء ، فيهدينا الطريق ، ويترع نفوسنا قوة وأملاً ؟ لقد علمت : هـذا بريق الدماء التي سقينا بها صحراء ميسلون ، وجنان الغوطة ، لقد علمت : لا يزيح ظلمة المستقبل ، إلا هذا النور . . الأحمر !

(٨) تزين الناس ولبسوا أحسن ثيابهم ، وراحوا يهنئ بعضهم بعضاً ، لقد امتلأت بهم الأسواق والشوارع ، والبيوت والجامع ، لقد ناءت برسائلهم قطر البريد ، حتى ما ترى حيثما كنت إلا ثغوراً تبسم ، وما تسمع إلا مقالة تقال : كل عام وأنتم بخير . كل عام وأنتم بخير . . .

غير أني لا أفقه من هذا كله شيئاً !

(٩) فيم الهناء ؟ وعلام السرور ؟ . . . أيهنأون بتلك الأرواح التي دفعناها ثمن الحرية ، فكان للبائع الثمن والبيع ؟ أم بالنفوس الكبيرة التي أزهقها الأقوياء ، أم بالمنازل التي خربوا ؟ أم بالدور التي أحرقوا ، أم بالحق الذي غصبوا ، أم بالحرمات التي انتهكوا ؟ . . . أم بالأزمة العامة ، والتجارة الكاسدة ، والصناعة العاطلة ، والزراعة البائرة ، والأخلاق الضائعة ، والرجولة المفقودة ، والحدود المستباحة ، والجهالة المنتشرة ؟ . .

أما إن أشد البلاء ، ألا نشعر بالبلاء ! وأكبر المصيبة أن نجهل أنها المصيبة ! فما لهؤلاء الناس وماذا اعتراهم ؟ أيفرحون بهذا كله ؟ . . .

إني لا أفقه من هذا كله شيئاً !

(١٠) عزفت عما فيه الناس ، ورحت إلى شرفتي كئيباً ، وكان الظلام قد ملأ الكون ، كما ملأ جوانب نفسي ، فغشيني ذهول عميق ، وانطلق لساني يقول :

* * *

أيها الراحل المودع !

لقد كانت لنا آمال ، صببناها على قدميك يوم خرجنا لاستقبالك ، وكنا كلما انقضى من عمرك يوم ولم تتحقق ارتقبنا بها يوماً آخر ، وهذا يوم لا آخر له ، فأخبرنا عن آمالنا ، ماذا صنعت بها ، أدست عليها فحطمتها وقطعت طريقك على رفاتها ؟

أيها الراحل المودع !

لقد أودع أسلافنا عند أسلافك أمانة ، هي المجد العربي ، والعزة الاسلامية ، فضاعت في بيداء الزمن ، وانطلقت الأعوام وانطلقنا وراءها نفتش عنها وننشدها ، ولن ننى مابقي في الزمان عام ، وبقي منا إنسان ، فأخبرنا هل مررت عليها ، وهل عرفت أي عام يحملها الينا ؟ . . .

أيها الراحل المودع !

إنك ستجتمع في عالم الأبدية بالأعوام التي سبقتك ، ومرت بنا قبلك ، فهل لك إذا اجتمعت بعام الدماء والدموع ، عام الثورة . . . أن تبلغه سلامنا وتحياتنا ، هل تحمل الى تلك الأرواح الطاهرة شوق أبنائها وإخوانها ؟ . . ألا قل لها تهدأ وتطمئن ، فانا لن ننسى ، لن ننسى . . . إن ذكرى الدم المسفوح لاتنسى أبداً !

وبعد يا أيها الراحل المودع !

أنبئنا ماذا يحمل هـذا القادم المسلم ، هل يحمل الينا تحقيق الآمال وبلوغ الأماني ؟ أم يحمل الشقاء والخراب والفقر والآلام والدموع والدماء ، كاخوانه الـ . . خمسة عشر عاماً ، التي مرت على سورية ؟

أنظر ماذا خلفت فينا ، أنظر الى مدينتنا ، لقد جعلتها — في ظل المتمدنين — أطلالاً وخرائب ، لقد جعلت أهلها فقراء بائسين . . . انظر هذه هي خرائب الدرويشية والميدان ؛ وهذه قلاع المزة وقاسيون . . .

ولكن لا بأس أيها العام لا بأس ؛ إن أرضاً تسقى (الماء الأحمر !) لابد أن تنبت (الحرية الحمراء) ... وإننا لن نيأس أبدا

* * *

وأفقت من ذهولي ، وكان وهن من الليل ، وكانت اللحظة الأخيرة من العلم الراحل ، فأرسلت في فضاء الله الواسع زفرة طويلة ، ثم رفعت رأسي شطر السماء وقلت :

— سبحانك لا اله إلا أنت . . هذا قضاؤك يا الله !

وتبددت اللحظة الأخيرة من العالم ، تبدد الحروف الأخيرة من مقالتي ، ولم يبق في الوجود ، إلا ... اسم الله

باسم الله نستأنف العمل ، والله المستعان ! ؟

علي الطنطاوي

ظـــواهر متماثلة

فى تاريخى الأدبين العربى والانجليزى

للأستاذ فخرى أبو السعود

لا يكاد يكون بين الأدبين العربى والانجليزى من وجوه التشابه إلا الأمور العامة التى يتفق فيها كل أدبين يعبران عن نوازع النفس الانسانية ، وهما فيما عدا ذلك مختلفان جد الاختلاف ، وهذا راجع الى أمرين : أولهما اختلاف الأمتين فى الجبلة والبيئة : فهـذه أمة شرقية ساميَّة خرجت من جزيرة صحراوية وورثت الدول الشرقية القديمـة ، وتلك أمة غربية آريّة خرجت من جزيرة شماليـة وشاركت فى تراث الدولة الرومانية ، وثانى الأمرين اختلاف قسطى الأدبين من التأثر بالثقافة اليونانية : فبينما كان تأثر الأدب العربى بها قليلاً غير مباشر كان تأثيرها فى الأدب الانجليزى شاملاً غامراً للأصول والفروع ، فاكتسب ذلك الأدب صبغة إغريقية ظل الأدب العربى بعيداً عنها

ولـكن هناك ظواهر فى تاريخ الأمتين والأدبين متماثلة أدى إليها تماثل وقتى فى الظروف وأدت الى نتائج متماثلة : فعصر الجاهلية فى تاريخ الأدب العربى شبيه بعصر ما قبل اليزابث فى التاريخ والأدب الانجليزيين : فى ذينك العصرين كان كل من الشعبين يعيش داخل جزيرته فى عزلة كبيرة عن العالم على حال شبيهة بعصر الأبطال فى بلاد اليونان الذى أنتج ملاحم هوميروس ، وكان الأدبان تبعاً لذلك جافيين ، وعْرى الأسلوب واللفظ ، ساذجى المعنى ، بعيدين عن الصناعة الفنية ، وكانا أقل رقيا من الأدب الذى جاء فى العصر التالى . والواقع أن الشبه هنا بين الجاهلية العربية وعصر الأبطال اليونانى كبير : ففى الجاهلية كان العرب منقسمين قبائل وعشائر متناحرة كما كانت البلدان والعشائر اليونانية ، وإن كانت تحس بقوميتها العربية العامة متمثلة فى لغتها وفى مجامعها السنوية فى الأسواق وفى الحج الى مكة ، كما كان اليونان يجتمعون فى المواسم الأولمبية ويحجون الى دلفى ، وفى تميزها على الأمم الأخرى التى كان العرب يسمونهم عجماً كما كان اليونان يعتبرون من عداهم برابرة ، وإن يكن العصر الجاهلى لم ينتج ملاحم كباراً كالالياذة والأوديسا فى اليونان أو كملحمة « بيولف » فى انجلترا ، فان قصائده على قصرها هى من هذا الضرب . ولعل العصر الجاهلى لو طال قليلاً لائتلفت تلك القصائد الصغيرة التى تمجد كل منها قبيلة واحدة ، فـكونت ملحمة كبرى تتغنى بفروسية الأمة العربية قاطبة

ونهضة العرب بظهور الاسلام تماثل نهضة الانجليز فى عصر اليزابث بوصول النهضة الأوربية الى انجلترا واتجاه نظر الانجليز الى ماوراء البحر ؛ ففى كلا العصرين بدأت كل من الأمتين تخرج من محيط جزيرتها وتشب عن طوق عزلتها وتتصل بالعالم وتصطنع حضارته وتبنى لنفسها امبراطورية مترامية الأطراف ، وارتقى أدبها من جراء ذلك ارتقاء عظيما ورقت ديباجته ، وإن يكن الرقى الأدبى فى صدر الاسلام قد تمثل فى النثر بينما تمثل فى العصر الاليزابثى فى الشعر ولا سيما الشعر التمثيلى

وبانبعاث هذه النهضة وقيام هـذه الدولة انتشرت كلتا اللغتين فى بقاع الأرض وافتتحت آدابهـا كثيراً من الأمم ؛ فاللسان العربى الذى لم يكن يتجاوز حدود الجزيرة فى الجاهليـة صار يُتكلم من حدود الصين الى المحيط الأطلسى ، وأثر فى لغات وأزال غيرها وحل محلها ، وأصبح اليوم لسان شعوب كثيرة فى آسيا وأفريقية . واللغة الانجليزية التى لم يكن يتكلمها إلا ملايين تعد على الأصـابع فى عهد شكسبير أصبحت تُتكلم وتدرس فى مشارق الأرض ومغاربها ، وأصبح أدبها عالياً كما كان أدب العرب عالياً على عهد عظمتهم

ولم تكد كل من الأمتين توطد أركان امبراطوريتها حتى انسلخ عنها جانب من أملاكها ونما مستقلاً حتى طاولها فى النفوذ والسلطان ، وداناها فى ازدهار الآداب والعـلوم ، فكما انفصلت الأندلس عن الخلافة العربية استقلت الولايات المتحدة الأمريكية عن الامبراطورية البريطانية ؛ بيد أن البلاد الأصلية احتفظت بالزعامة الأدبيـة على طول المدى فلم تنجب الأندلس من الأدباء من بذوا فحول العباسيين ، ولا ظهر فى أمريكا ولا غيرها من أنحاء الامبراطورية البريطانية من دانى شكسبير وملتون

وباتصال كل من الأمتين بالأمم المتحضرة سرت إليها موجة

عدوي من دواعي الترف وبدا أثر ذلك في أدبها : فاختلاط العرب بالفرس أدخل الترف والعبث في البلاط العباسي وأثر في جيل أبي نواس من الشعراء ، واتصال الانجليز بفرنسا في ظل ملكها المترف لويس الرابع عشر أفسد بلاطهم على عهد شارل الثاني وبان أثر ذلك في الأدب ولاسيما في الرواية التمثيلية

وكلا الأدبين تأثر إلى حد بعيد بالكتاب السماوي الذي تدين به أمته ؛ فأثر القرآن في المجتمع العربي وتاريخ اللغة العربية وأصولها وآدابها وثقافة أدبائها وأساليبهم جسيم بين الجسامة ، فقد كان منذ جاء مثلاً أعلى وثقافة قائمة بذاتها ؛ والانجيل منذ ترجم إلى الانجليزية في عهد الاصلاح الديني كانت له اليد الطولى في تثبيت الأسلوب النثري الانجليزي ، وتثبيت مفردات اللغة ، وإدخال مفردات جديدة واشتقاق غيرها ، واختراع طرق للاشتقاق أدت إلى توسيع جوانب اللغة ، وكان دائماً قدوة للأدباء يحتذونها في إسلاس الأسلوب ، وله أثر مباشر جلي في كتابين من ذخائر الأدب الانجليزي : أحدهما « رحلة الحاج » لبنيان والثاني « الفردوس المفقود » لملتون : ففي كليهما كان أساس القصة ما ورد في الانجيل من أنباء الخلق والبعث والحساب ، بل إن دراسة الانجيل كانت هي الثقافة الوحيدة التي نالها (بنيان) الذي كان قساً ضئيل الحظ من التثقف ، ومع ذلك فأسلوبه المبني على أسلوب الانجيل يعد في الذروة في أدب اللغة

وهناك التأثر بالتراث اليوناني الذي كان حتما على كل شعب أتى بعد اليونان أن يتأثر به : فاغترف أدباء الانجليزية من مناهل الأدب اليوناني اغترافاً واستوعبوه دراسة فجاء أثره شاملاً عاماً لا يقتصر على فرع دون فرع ولا يمتاز به جيل أو أدباء أو أديب دون أديب ، على حين كان التأثير اليوناني في الأدب العربي كما تقدم ضئيلاً غير مباشر آتياً عن طريق دراسة فلسفة اليونان لا أدبهم مما بدا أثره في حكم المتنبي والمعري واضرابهما

لم يأخذ العرب عن اليونان ولا عن غيرهم أخذاً بالجملة كما صنع الانجليز ، بل ظلوا في زمانهم شامخين بأدبهم ينظرون من عليائه إلى من حولهم من أمم وما لها من آداب ؛ أما عهد الأخذ بالجملة في تاريخ الأدب العربي فهو عصرنا الحاضر الذي يوسع فيه أدباؤنا اللغات الغربية دراسة ونقلاً ومحاكاة ، فيغنون أدبنا أي إغناء ، ويخصبونه بالعنصر الأجنبي الذي كان يعوزه

هذه ظواهر يتقارب فيها تاريخا الأدبين لتقارب في ظروف الأمتين في شتى العهود ، أما ظواهر التباين فلا تكاد تعد ؛ ويجب حين نقابل بين التاريخين أن نذكر أن دولة العرب أقدم عهداً وأدبهم أعرق محتداً ، وأن دولتهم وأدبهم قد غبر الفصل الأول من قصتهما ، وها اليوم في طور بعث جديد ، أما الدولة والأدب الانجليزيان فما زالان في الفصل الأول

فخري أبو السعود

٨ـ محاورات أفلاطون

الحوار الثاني

كريتون أو واجب المواطن

ترجمة الأستاذ زكي نجيب محمود

أشخاص الحوار : سقراط . كريتون
مكان الحوار : سجن سقراط

سقراط — وستقول القوانين بعدئذ : « اعلم ياسقراط ، إن صح هذا ، أنك بهذه المحاولة إنما تسيء الينا ، لأننا بعد إذ أتينا بك الى الدنيا ، وأطعمناك وأنشأناك وأعطيناك كما أعطينا سائر أبناء الوطن قسطا من الخير ، ما استطعنا للخير عطاء ، فقد أعلنا فوق ذلك على رءوس الأشهاد أن من حق كل اثيني أن يرحل الى حيث شاء حاملا متاعه معه ، إذا هو نفر منا بعد أن تقدمت به السن فعرفنا حق المعرفة وعرف على أي الأسس تسير المدينة ، وليس فينا نحن القوانين ما يحول دونه أو يتدخل معه في أمره ، فلكل منكم إذا ما كرهنا وكره المدينة ، وأراد الرحيل الى إحدى المستعمرات أو الى أية مدينة أخرى ، أن يذهب حيث شاء ، وأن ينقل متاعه معه ؛ أما ذلك الذي عركنا فعرف كيف نقيم العدل وكيف ندير الدولة ، ثم رضى بعد ذلك المقام بيننا ، فهو بذلك قد تعاقد ضمناً على أنه لابد فاعل ما نحن به آمرون . فمن عصانا ، ونحن ما نحن ، فقد أخطأ مرات ثلاثاً : الأولى أنه عصى والديه بعصيانه إيانا ، والثانية أننا نحن الذين رسمنا له طريق نشأته ، والثالثة أنه قطع معنا على نفسه عهداً أنه سيطيع أوامرنا ، فلا هو أطاعها ، ولا هو أقنعنا بأنها خاطئة ، ونحن لا نفرضها عليه فرضاً غشوماً ، ولكنا نخيره ، فإما طاعتنا وإما إقناعنا . هـذا ما قدمناه إليه ، وهذا ما رفضـه جميعاً . تلك هي صنوف المآخذ التي ستقيم من نفسك هدفاً لها يا سقراط إذا أنت أنجزت عزيمتك ، كما سبق لنا بذلك القول . ولا سيما أنت دون الآثينيين جميعاً » وهب أني سألت ولم هذا ؟ فستجيب حقاً بأنني قد سلمت بهذا الاتفاق دون سائر الناس . ستقول القوانين « إن ثمت لبرهاناً ساطعاً يا سقراط ، بأننا والمدينة معنا لم نكن لنعكر عليك صفو العيش ، فقد كنت أدوم الآثينيين جميعاً مقاماً في المدينة : لم تغادرها قط ، حتى ليجوز لنا الفرض بأنك كنت تحبها ؛ إنك لم تغادرها مطلقاً لتشهد الألعاب ، اللهم إلا مرة واحدة حين ذهبت لترى البرزخ (١) ، ولم تفصل عنها لتقصد إلى أي مكان آخر ، إلا إذا كنت في خدمة الجيش ، ولم تسافر كما يسافر الناس ، ولم يدفعك حب الاستطلاع إلى رؤية الدول الأخرى لتلم بقوانينها ، فقد اختصصتنا بحبك لم تجاوز به حدود دولتنا ، فكنا نحن أصفياءك المخلصين ، وقد رضيت بحكمنا إياك . إن هـــذه هي الدولة التي أعقبت فيها أبناءك ، وإن ذلك لينهض دليلاً على رضاك . هذا وقد كنت تستطيع لو أردت أن تقرر عقوبة النفي أثناء المحاكمة — وإن كان الآن ثمت دولة تغلق دونك أبوابها فقد كانت حينئذ تسمح بذهابك إليها ، ولكنك ادعيت أنك تؤثر الموت على النفي ، وأنك لم تبتئس من الموت . ولكن هأنت ذا الآن قد أنسيت تلك العواطف الجميلة ، وترفض أن تحترمنا — نحن القوانين ، التي أنت هادمها ، وإنك الآن لتفعل مالا يفعله إلا العبد الخسيس ، فتولي أدبارك هارباً من العقود والعهود التي قطعتها على نفسك باعتبارك واحداً من أبناء الوطن ؛ فأجب لنا أولاً عن هذا السؤال : أنحن صادقون في القول بأنك اتفقت على أن تُحكم وفقاً لنا ، بالفعل لا بالقول فقط ؟ أهـذا حق أم كذب ؟ بماذا نجيب عن ذلك يا كريتون ، ألسنا مضطرين إلى التسليم ؟

كريتون ـ ليس عن ذلك منصرف يا سقراط

سقراط ـ أفلن تقول القوانين إذن : « إنك ياسقراط ناقض للمواثيق والعهود التي أخذتها معنا على نفسك اختياراً ، فما كنت في أخذها عجلان ولا مجبراً ولا مخدوعاً ، ولكنك لبثت سبعين عاماً تفكر فيها ، وكنت خلالها تستطيع أن تغادر المدينة إن كنا لم نصادف من نفسك قبولاً ، أو كنت قد رأيت فيما اتفقنا عليه اجحافاً بك . كنت في ذلك مخيراً ، وكان في مقدورك أن ترحل إما إلى لا قيديمون أو إلى كريت اللتين كثيراً ما امتدحتهما لحسن حكومتيهما ، أو ترحل إلى أية دولة أجنبية

(١) يرجح أن المقصود هنا برزخ كورنث الذي يصل شبه جزيرة المورة بشبه جزيرة البلقان، وبقربه تقع أثينا

يونانية أخرى . ولكنك كنت تبدو ، أكثر من سائر الأثينيين جميعاً ، شغوفاً بالدولة ، أو بعبارة أخرى ، بنا — أى بقوانينها (إذ من ذا الذى يحب دولة لاقوانين لها) فلم تتزحزح عنها قط ، ولم يكن العُمى ، والعُرج ، والمقعدون ، بأكثر منك قبوعاً بها ؛ وهأنت ذا الآن تفر ناقضاً ما قطعته من عهود . ماهكذا ياسقراط إن أردت بنا انتصاحا ، لاتضع نفسك بهروبك من المدينة موضع السخرية

« وحسبك أن ترى أى خير تقدمه لنفسك أو لأصدقائك ، ان أنت اعتديت أو أخطأت على هـذا الوجه ؟ أما أصدقاؤك فالأرجح أن يُشَرَّدوا نفياً ، وأن يسلبوا حق انتسابهم للوطن أو أن يفقدوا أملاكهم . أما عن نفسك أنت ، فلو تسللت إلى إحدى المدن المجاورة ، إلى طيبة أو ميغارا مثلاً ، وهما مدينتان تسيطر عليهما حكومة حازمة ، فستدخلهما عدواً ياسقراط وستناصبك حكومتاهما العـداء ، وسينظر اليك أبناؤهما الوطنيون بعين ملؤها الشر لأنك هادم للقوانين ، وسيقر فى عقول القضاة أنهم كانوا فى إدانتهم إياك عدولاً . فأغلب الظن أن يكون مفسد القوانين مفسداً للشبان ، وأن يكون بلاء ينزل بالغفلة على بنى الانسان . فلم يبق لديك إلا أن تفر من هذه المدن المنظمة ومن ذوى الفضل من الرجال ، ولـكن أ يكون الوجود حقيقاً بالبقاء على هذه الحال ؟ أم أنك ستغشى هؤلاء الناس فى صفاقة ياسقراط لتتحدث اليهم ؟ وماذا أنت قائل لهم ؟ أفتقول ماتقوله هنا من أن الفضيلة والعدالة والتقاليد والقوانين أنفس ما أُنعم به على الناس ؟ أ يكون ذلك منك جميلاً ؟ كلا ولا ريب . أما إن فررت من الدول ذوات الحكم الحازم ، الى تساليا حيث أصـدقاء كريتون ، وحيث الاباحية والفوضى ، فسيجدون متاعاً فى قصـة هروبك من السجن ، مضافاً اليها ما يبعث على السخرية من التفصيل عن كيفية تنكرك فى جلد عنزة أو ماعداه من أسـباب التنكر ، وعما بذلته من ملامحك كما جرت بذلك عادة الآبقين — ليس ذلك كله ببعيد ، ولـكن ألن تجـد هناك من يذكرك بأنك وأنت هذا الشيخ الكهل ، قد نقضت أشد القوانين تقديساً ، من أجل رغبة حقيرة فى استزادة الحياة زيادة ضئيلة ؟ قد لاتجـد إذا استرضيتهم ، ولـكن لاتلبث أن تثور منهم سورة الغضب ، حتى يصكوا مسمعيك بما يجللك عاراً . إنك ستعيش ، ولـكن كيف ؟ — متملقاً للناس جميعاً وخادماً للناس جميعاً . وماذا أنت صانع ؟ — ستأكل فى تساليا وتشرب ، لأنك قد غادرت البلاد لـكى تصيب فى الغربة طعاماً لغدائك ، وأين ترى ستكون تلك العواطف الجميـلة التى تبديها حول العدل والفضيلة ؟ قل إنك راغب فى الحياة من أجل أبنائك لتتعهدهم تربية وإنشـاء — ولـكن أأنت مصطحبهم الى تساليا ، فتقضى عليهم بذلك ألا يكونوا أبناء الوطن الأثينى ؟ أذلك ما ستمنحهم إياه من نفع ؟ أم أنت تاركهم واثقاً بأنهم سيكونون أحسن رعاية وتربية مادمت أنت حياً ، حتى ولو كنت غائباً عنهم ، إذ يعنى بهم أصدقاؤك ؟ هل تخيل لنفسك أنهم سيعنون بهم ما أقمت فى تساليا ، أما إن صرت من أهل العالم الآخر ، فلن يعنوا بهم ؟ كلا ، فان كان من يسمون أنفسهم أصدقاء ، أصدقاءك حقاً ، فانهم لاشك معنيون بأبنائك

« اصغ إلينا إذن ياسقراط ، نحن الذين أنشأناك . لا تفكر فى الحياة والأبناء أولاً ، وفى العـدل آخراً ، بل فكر فى العدل أولاً ، وارج أن تصيب البراءة عند ولاة العـالم الأسفل . فان فعلت ما يأمرك به كريتون ، فلن تـكون أنت ولا من يتعلق بك كائناً من كان ، أسعد أو أقدس أو أعدل فى هذه الحياة ولا فى أية حياة أخرى . فارحل الآن بريئـاً ، مجاهداً لا فاعلاً للرذيلة ، ضحية الناس لا ضحية القوانين . أما إن صممت أن ترد الشر بالشر والضر بالضر ، ناقضاً ما قطعته أمامنا على نفسك من عهود ومواثيق ، مسيئاً إلى أولئـك الذين ينبغى ألا يمسهم من إساءتك إلا أقلها ، أعنى نفسك ، وأصدقاءك ، ووطنك ، ونحن ، فسننقم عليك مادمت حياً ، وستستقبلك قوانين العالم الأسفل ، وهى إخوتنا ، عدواً ، لأنها ستعلم أنك لم تدخر وسعاً فى هدمنا . اصغ إذن إلينا ، لا إلى كريتون »

هذا هو الصوت الذى كأنى به يهمس فى مسمعىَّ ، كما تفعل نغمات القيثـارة فى آذان المتصوف . أقول إن هذا هو الصوت الذى يدوِّى فى أذنىَّ ، فيمنعنى من أن أستمع الى أى صوت سواه وإنى لأعلم أن كل ما قد تقوله بعد هذا سيذهب أدراج الرياح ، ومع هذا ، تكلم إن كان لديك ما تقوله

كريتون — ليس لدىّ ما أقوله ياسقراط

سقراط — ذرنى إذن أتبع ما توحى به إلىَّ إرادة الله

زكى نجيب محمود

انتهى الحوار الثانى ، وسننشر الحوار الثالث ابتداء من العدد الآتى

التصوف الاسلامي

بقلم سليمان فارس النابلسي

توطئة

يبدأ الدين في أول أمره عقائد راسخة ومناسك ثابتة لا تسامح في أوامره ولا هوادة في نواهيه . ثم لا تلبث – بعد أن يتطاول الزمن وتمر السنون – أن تلين العريكة وتأخذ المياسرة مكان المعاسرة فيدب الشك الى العقائد الموروثة والسنن المرعية ؛ إذ ذاك يبحث الانسان عن عقيدة تسوّى ما بين نفسه وبين الكون تسوية مقبولة يرتضيها العقل ويقرّها المنطق ، وعندئذ تنشأ الصوفية

والصوفية منحىً في الفكر ، لا بل في الشعور يصعب تحديده ، يظهر في محاولة العقل الانساني تفهّم الطبيعة الروحية لحقيقة الأشياء ، ويبرز في بشر المرء وسروره بنعمة الارتباط الروحي مع الخالق العظيم

معنى لفظة صوفي

لقد تباينت الآراء وتضاربت الأهواء في المصدر الذي اشتُقت منه لفظة صوفي ، فمن قائل إنها من الأصل اليوناني « سوف Sophos » بمعنى حكمة كما ذكر أبو الريحان البيروني في كتاب الهند ، ومن قائل – وهم الصوفيون أنفسهم – من صفا صفاء . قال أبو الفتح البُستي

تنازع الناس في الصوفي واختلفوا
قِدماً وظنوه مشتقاً من الصوفِ
ولست أمنح هـذا الاسم غير فتىً
صافى فصوفي حتى لُقّب الصوفي

وذهب آخرون الى أنها متحدرة من معنى دينيّ ، فينسبونها الى أصحاب (الصفة) وهم قوم من الصحابة كانوا يجلسون على باب المسجد يوزعون الصدقات على الفقراء . على أن الرأى الأكثر شيوعاً والأقرب للعقل والمنطق هو نسبتها الى « صوف » أي الى ظاهر اللباس . فأبو نصر السراج مؤلف كتاب اللمع – وهو أول كتاب ظهر عن الصوفيـة – يقول : « إن لبسة الصوف دأب الأنبياء وشعار الأولياء ، فلما أضفتهم الى ظاهر اللبسة كان ذلك اسماً مجملاً عاماً . . . »

وقد أيد العلامة (نولدكه) هذه النظرية وشاركه في الرأى العالم الانجليزي الشهير (برون Browne) وكان مما استدل به على ذلك الكلمة الفارسية (پشمينابوش) التي يسمون بها عادة ، ومعناها اللفظي (لابسو الصوف) وجبب الصوف كانت منـذ القدم علامة الحياة البسيطة الساذجة

منشأ التصوف الاسلامي

يرجع بنا البحث عن منشأ التصوف الاسلامي الى الحركة الزهدية التي قامت في القرن الأول للهجرة تحت التأثير النفسي العميق المتكشف عن خوف من الله تعالى يوجب التسليم لأرادته سبحانه والانقياد لمشيئته . وعلى هذا يجمل بنا أن نبحث التصوف في طورين مختلفين

١ – طور الزهد : لم يكن التصوف في هذا الطور نظاماً فلسفياً ولا مسلكاً دينياً وإنما هو طريقة في الحياة والمعيشة خاصة ، تمتاز بالزهد في الملذات والابتعاد عن الدنيا حباً في الآخرة ، فهو إذن إسلامي خالص لا أثر للعوامل الخارجية والعناصر الأجنبية فيه من نصرانية ويهودية وهندية وفارسية . وكل ما هنالك أنه ظهر في صدر العصر الأموي جماعة من المسلمين رغبوا عن هذه الحياة الاجتماعية الملأى بألوان اللهو والتهتك والخلاعة ، وتطلعوا إلى حياة هادئة وقورة مرضية لضمائرهم التي تتشوق إلى الابتعاد عن صغائر الحياة وسخافاتها مطابقة لعقائدهم التي ما زالت شديدة التمسك بالحياة الاسلامية الخالصة من بساطة وسذاجة . زد على ذلك أن الحياة السياسية كانت قلقة مضطربة ، فالفتنة قائمة بين الفرق والشيع ، والمعارك مستعرة بين مختلف القادة والأمراء ، كل ينشد جاه الحكم ومجد السلطان غير ملتفت إلى ما يجره ذلك من هدر دماء المسلمين وتشتيت كلمتهم ورجوعهم إلى جاهليتهم الأولى . كل هذه العوامل غذت الحركة الزهدية وبعثت في قلوب بعض المؤمنين الميل عن المادة والانصراف إلى العمل الصالح في نفسه وتذكير الناس بأمور دينهم وعقائدهم . ويأتي (نكلسون) العالم الانجليزي الضليع في هذه الأبحاث فيضيف إلى هذه العوامل عاملاً آخر لا يقل عنها قوة وأثراً ، ذلك أن الصورة التي يبرزها القرآن الكريم (للحق) عز وجل هي في نفسها تدعو إلى الخوف والرهبة ، فهي صورة إله جبار شديد البطش سريع العذاب . فالشعور بالخوف من جهنم الذي يكتنف قارئ القرآن يدعو حتماً إلى التصوف والزهد واحتقار المادة والابتعاد عن سبل الضلال

ومن أهم الشخصيات الممتازة فى هذا الدور الحسن البصرى الذى عُرف بالزهد والورع والرجوع إلى السنة فى بساطة العيش وسمو الغاية . ومنهم أبو هاشم الكوفى الذى يقال إنه أول من أطلق عليه لقب « الصوفى » وأسس ديراً للمتصوفين فى رملة فلسطين . ثم ظهر ثلاثة نفر فيما وراء النهر فى فارس فى أواخر القرن الثانى الهجرى وهم : ابراهيم بن أدهم وشقيق البلخى وفضيل بن عياض ، فنرى عندهم بدء نظام فلسفى ، فهم يمثلون دور الانتقال من حياة الزهد إلى نظام التصوف الفلسفى ، ولعلهم كانوا عاملين على الامتزاج بالتعاليم الهندية الفارسية لقرب موطنهم من هذه البلاد التى كانت تتفاعل فيها هذه المبادئ المختلفة . ويظهر ذلك بجلاء عند الزعيمة المتصوفة رابعة العدوية التى كانت كما يقول نكلسون أول من أدخل نظام الحب الفلسفى والوجد والاتحاد بالله بدل الخوف والرهبة

٢ الطور الثانى : التصوف الفلسفى

لقد أخذ التصوف فى هـــذا الطور شكلاً فلسفياً ونظاماً مستقراً فى الدين يميل العلماء إلى نسبته إلى عوامل خارجية من نظريات فلسفية وأديان أخرى . فمن ذلك :

ا — **المصدر الهندى** : يعتقد بعضهم أن لهذا التشابه بين كثير من العقائد الصوفية فى صورها الراقية الناضجة وبين بعض النظم الهندية وعلى الأخص ال Vandata أساساً واحداً ومنبعاً مشتركاً يجب أن يبحث عنه فى الهند ، فان معظم المتصوفة الأول نشأوا فى خراسان وظهرت فلسفتهم الصوفية فيها ؛ ولعل مبدأ الفناء الذى يندمج فيه المتصوف بالله ويفقد شخصيته الفردية ، مستمد بطريقة مباشرة أو غير مباشرة من عقيدة « النارفانا Narvana » الموجودة فى الديانة الهندية

ب — **المصدر النصرانى** : يعتقد المتصوفة أن غاية كل الأديان واحدة ، وأنها كلها تصل بالانسان الى الهدف المقصود والغاية المرجوة ، فليس غريباً إذن أن يحتك المتصوفون بالرهبان السيحيين ، ويمتزجوا بهم فيظهر أثر ذلك فى تعاليمهم وأنظمتهم ، خصوصاً وقد ظهرت هذه النزعة التنسكية الزهدية فى الكنيسة المسيحية فى القرنين الأول والثانى للهجرة

حـ — **الافلاطونية الجديدة** : ظهر هذا النظام الفلسفى فى أوائل القرن الثالث المسيحى على يد (أمونياس ساكاس) وبلغ أوجه فى زمن تلميذه بلاتينيوس وفرفوريوس النحوى شارح تعاليمه . وإذا ما دققنا فى تعاليم هذا المذهب الأدبية رأيناها تؤدى حتما الى التصوف ، إذ يعلم أن طريق الخلاص هو بالتجرد التام عن المادة ، وانفصال النفس عنها ؛ بذلك يتصل الانسان « بالعقل الأول » اللفظ الفلسفى للحق سبحانه ، وينال الغبطة التى يعبر عنها المتصوفون بالفناء . لقد انتشرت هذه التعاليم الفلسفية فى العالم الاسلامى ، وكان أثرها فى الفلاسفة المسلمين واضحاً جلياً

د — **فلسفة المعرفة** Gnosticism : جماعة هذا النظام الفلسفى الذى نشأ بين القرنين الأول والسادس للمسيح يعتقدون أن الايمان وحده لا يكفى للخلاص ، بل إن المعرفة هى متممته . ويعنون بهذا أن يعرف المرء أنه من عنصر إلـهى ، وأنه لابد أن يرجع فى نهايته إلى هذا العنصر الذى نشأ منه ، حينذاك وعند ما ينغمس فى هذا الاعتقاد تخلص نفسه من شوائب المادة ويقرب من الله . وقد انتشر هذا المذهب فى العراق وفارس وتأثر بالمانوية وأثر فيها فأخذت منه عقيـدة الظلمة والنور . أما إنه أثر فى العقائد الصوفية فانا نلمس هـذا فى القول بأن الانسان يُخلق إلـهياً ، وكلما تقدم فى العمر خلع حجاباً إلـهياً واستبدل به آخر إنسانياً إلى أن يمر بسبعين ألف حجاب فى أرذل العمر . ولا نجاة له إلا باتباع التعاليم الصوفية والانصراف عن المادة إلى الروح ، بذلك يسلك طريق النجاة

هذه أهم المؤثرات الخارجية التى عملت على تغذية العقيـدة التصوفية الاسـلامية وخلقت منها طريقاً فلسفياً خاصاً . وليس من المستطاع رد كل من العقائد التصوفية الفردية الى أصلها الذى استُمدت منه ، فعقيدة فى مثل هذا الانتشار العظيم ذات مبادىء كثيرة ونظم واسعة لايمكن أن تقع تحت تأثير عامل واحد مهما جل شأنه واتفقت الظروف على تقدمته والميل اليه .

كانت الصوفية دائماً بحيرة تنتقى من كل العقائد ما تشتهى وتشاء . نظام شامل يمتص ويهضم — بعد بعض تغيير وتحوير — من كافة الآراء والمعتقدات المختلفة حوله ، يكتسب أناساً من كافة الملل والنحل من موحدين ومشركين ، معتزلة وسنيين ، فلاسفة ورجال دين . هذه الاعتبارات كلها تضعنا فى موقف دقيق يضطرنا الى القول بأن منشأ الصوفية الاسـلامية الفلسفية لايمكن أن يجاب عنه بجواب شاف صريح

(يتبع) سليمان فارس الطحاوى

في تاريخ الأدب المصري

ابن النبيـــه

للأستاذ أحمد أحمد بدوي

أفديه إن حفظ الهوى ، أو ضيعا ملك الفؤاد ؛ فما عسى أن أصنعا
من لم يذق ظلم الحبيب كظلمه حلواً فقد جهل المحبة وادعى
يأيها الوجه الجميل تدارك الصـــبر الجميل ، فقدعفا ، وتضعضعا
هل في فؤادك رحمـــة لمتيم ضمت جوانحه فؤاداً موجعاً
هل من سبيل أن أبث صبابتي أو أشتكي بلواي ، أو أتوجعا
إني لا ســـتحيي كما عودتني بسوى رضاك إليك أن أتشفعا

أغنية شائعة ، نستمع إليها ، ونطرب لها ، ونحفظها ، وقليل منا هو الذي يعرف أن قائلها ابن النبيه الشاعر المصري الذي أحببنا أن نحدثك عنه اليوم

— ١ —

يذكر التاريخ ولا ينسى لصلاح الدين وخلفاء صلاح الدين أنهم هم الذين حموا ذمار الشرق من غارة الأوربيين الذين كانوا يمنون النفس بالآمال الكاذبة في الشرق وامتلاك أرضه ، فكان العصر عصر حرب وقتال ونضال ونزال بين الشرق والغرب ، خرج منـــه الشرق ظافراً منتصراً على أيدي ملوك مصر وخلفائهم . ولقد ولد شاعرنا على ما يظهر قبـل أن يلي صلاح الدين حكم مصر بقليـل ، ولكنه نشأ وشب في أحضان تلك الدولة وفي عهد حكمها الرشيد ، ولكنه لم يعش بمصر طوال حياته ، بل تركها إلى أقطار أخرى كانت كذلك تحت حكم الأيوبيين ؛ غير أنه على ما يظهر لي — لم يغادر الديار المصرية مرة واحدة ، بل كان يزورها في الحين بعد الحين ، واستطاع أن يتصل فيها بطائفة من وزراء الدولة وكبار رجالها كالقاضي الفاضل ، وأسعد بن مماتي ، وصفي بن شكر . والراجح عندي أنه لم يغادر مصر إلا بعد أن مات صلاح الدين ، فانه حينما خرج من مصر مدح العادل ، والعادل لم يل حكم الجزيرة إلا بعد أن مات صلاح الدين ، ولذلك فابن النبيه مدين لمصر بتنشئته وثقافته ، ومدين لها بالرقة والعذوبة التي تتجلى في شعره ، وتأسرك إلى قراءته قسراً ، غير أن نفسه الطموح الراغبة في العظمة والمجد بدأت تتطلع إلى نيل مركز سام ومنصب رفيع ، ورأى أن في مصر من العظماء من لا يستطيع قهرهم ولا منافستهم ، نخث الخطا إلى الجزيرة حيث يستطيع أن يجد له ميداناً للعمل والتقدم ، فاتصل بالملك العادل ، ومن بعده اتصل بابنه الملك الأشرف الذي كان يلقب بشاه أرمن لاستيلائه على بلاد الأرمن ، وقد اختص بهذا الأخير ، حتى إنك إذا قلبت ديوانه وجدت معظمه في مدحه والثناء عليه ، وحتى لتوهمك مقدمته أنه إنما جمع قصداً لكي يجمع ما قاله في الملك الأشرف من مدائح ، ولقد أصبح أثيراً لديه يستصحبه في رحلاته وتنقلاته ، وأصبح ابن النبيه اللسان المسجل لما يلقاه المليك من خير أو نصر أو حادث هام ؛ وصار كاتب الانشاء له ، يدبج عنه الرسائل ، وأحياناً كان يكتبها بالشعر كما سنتحدث بعد . ويقول من أرخ لابن النبيه : إن له شعراً أعذب من الماء الزلال ، وأغرب من السحر الحلال ، ونثراً ألطف من كاسات الشمول ، وأرق من نسمات الشمال ، فالنظم والنثر عنده جنتان عن يمين وشمال . . . غير أننا سنقصر كلامنا اليوم على شعره ، وإن كنت أرجح أن المقـدمة التي في صدر ديوانه ، وهي مقدمة نثرية من صنع ابن النبيه فان منها قوله : وأحق الناس بعد الله تعالى بالشكر ملك أشار اليه بنان البيان ، وأينع بذكره جنان الجنان ، وقلد بذكره القريض فزان الأوزان ، عف وعفا ، وكف وكفى ، وأحيا رفات الوفا ، فزمان دولته غض الغضارة ، نض النضارة ، حلو البشـــارة ، بديع الاشارة ، المولى السلطان الملك الأشرف شاه أرمن ، سلطان العراق والشام ، مظفر الدين ناصر أمير المؤمنين ، أبو الفتح موسى ابن السلطان الملك العادل سـيف الدنيا والدين ، أبي بكر بن أيوب خليل أمير المؤمنين ، خلد الله ملكه كما خلد في ديوان المحامد ذكره ، وخذل بسلطانه أعداء الدين ، وأعز نصره ، ولما لم يجد مملوك دولته ، وغرس فواضله ، وربيب نعمته ، الفقير إلى الله تعالى أبو الحسن كمال الدين علي بن محمد بن النبيه ما يكافيء به أياديه ، ويجاري به إحسانه الذي يخجل الغيث روائحه وغواديه ، توفر على استخراج جواهر صفاته من بحر كرمه ، ونظم فرائد فوائده فكافأ نعمه بنعمه ، وجمعها في هذا الكتاب معترفاً أن الشرف

للجوهر لا للناظم ، وأن الفضل للبحر الذى أرسل الغيث على أجنحة الغمائم ، وجعله عرضة لنقد الخواطر ، وميداناً لجولان قريحة كل متأمل وناظر ، وسبيل كل منصف ينظر فيه الايمان بآيات سحره المبين ، وإقالة العثار فيما لعله يعرض من الخطل الوارد على المؤلفين والمصنفين ، وليعفوا وليصفحوا ، ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم . فاذا أنت قرأت تلك المقدمة وأنصت إلى قوله : لم يجد مملوك دولته إلى آخر ما قال استطعت أن ترجح أن تلك المقدمة من قلم ابن النبيه ، واستنبطت منها أموراً أربعة : أولها أن القصد من جمع الديوان تسجيل ما قاله فى الملك الأشرف ، ولذلك رتب الشعر ، فبدأ أولاً بما قاله فى الخليفة العباسى ، لسيادته الروحية على العالم الاسلامى كله ، ثم ثنى بما قاله فى الملك العادل والد الأشرف ، ثم ثلث بما قاله فى الملك الأشرف ، وهو معظم ما قاله من الشعر ، ثم ذكر ما قاله فى غيره من أمراء الأيوبيين والوزراء . ثانيها أن الشعر الذى فى ديوان ابن النبيه شعر يقره ويرضاه ويعده سحراً ويفخر بنسبته إليه ، ومن أجل ذلك ترى من أرخ له يقول : إن هذا الشعر الذى بين أيدينا ليس بكل شعره وإنما هو اختيار منه ، مستدلين على ذلك بأنه شعر بارع جيد يدل على أن صاحبه قد مرن على قول الشعر طويلاً حتى انقاد له ، وأصبح ذلولاً ، فحذف منه مالا يرضى وأبقى منه هذا الديوان الصغير ، الذى اشتمل على جيد شعره ، (وإلا فما هذا شعر من لانظم إلا هذا الديوان الصغير) كما قال صاحب فوات الوفيات ، على أنه على مايظهر لم يجمع ديوانه كله ، إذ أنك ترى فى آخر ديوانه بعض شعر وقصائد ألحقها به جامع الديوان بعد ابن النبيه . ثالثها أن شعر المدح يجب أن ينبعث عن عاطفة حية هى عاطفة الشكران وحفظ الجميل ، وهو يرى أن المدح لذلك واجب لأنه شكر للمنعم على ما أنعم ، وشكر المنعم أول الواجبات قال ... إن شكر كل منعم واجب ، وقام على ذلك دليل انعقد عليه إجماع أئمة المذاهب ، وذلك يدلنا على أنه لقى حقاً من ممدوحه حسن الصنيع وأيادى جمة استحق من أجلها أن يشكر وأن يثنى عليه . رابعها أن تلك المقدمة تعتبر نموذجاً لنثره ، وهى لذلك تستطيع أن تعطينا صورة عن هذا النثر الذى دبجته براعة ابن النبيه ، فهو نثر صناعى يلتزم فيه السجع ، ويكون للصناعة المحل الأول فى إنشائه ، شأنه فى ذلك شأن كتاب النثر فى ذلك العصر الذى حمل لواء الزعامة فيه القاضى الفاضل ومن نهج منهجه ، فلا جرم كان نثره صناعياً خاضعاً لأحكام البديع وقوانينه ، هذا وإن شعره ونثره وتوليه أعمال الانشاء للملك الأشرف تدلنا على نوع الثقافة التى تلقاها حتى هيأته لتولى ديوان الانشاء فهو علوم الدين واللغة العربية تلك العلوم التى كان لزاماً أن يأخذ منها بحظ وافر يساعده على تولى هذا المنصب ، ولقد تلقى هذه الثقافة بمصر ، إذ أننا قد رجحنا أنه لم يغادر وادى النيل إلا بعد موت صلاح الدين ، فيكون قد شب وترعرع فى أرض مصر ، والثقافة المصرية كانت زعيمة الثقافات ، كما كان ملوكها زعماء الملوك

— ٢ —

لابن النبيه مذهب فى الحياة يشبه مذهب غيره من شعراء مصر أو على الأقل شعراء مصر الذين درسنا أقوالهم ، ذلك المذهب الذى ينظر إلى الحياة نظرة من يريد التمتع بما فيها من خير وجمال ، لا يصدف عنه ، ولا ينأى بجانبه عن حسنه وما كمن فيه من أسباب السرور والمتعة ، فهو يوقن أن الدنيا متقلبة ، فهى حيناً ضاحكة ، وأحياناً عابسة ، فماله يعكر على نفسه صفوها حينما تكون صافية ، وما له لا ينتهز الفرص وينال اللذة ؟

خذ من زمانك ما أعطاك مغتنما وأنت ناه لهذا الدهر آمره
فالعمر كالكأس تستحلى أوائله لكنه ربما مجت أواخره
واجسر على فرص اللذات محتقرا عظيم ذنبك ، إن الله غافره

وكان لهذا المذهب آثاره الكبرى فى حياته العملية ، فهو يحب الخمر ويطرب لشربها ، ويترع الكأس ويروى بها ظمأ نفسه ، وهو يهفو الى السقاة يتغزل فيهم ، ويصف محاسنهم ، وقد كان السقاة يختارون من أجمل الفتيان وأصبحهم ؛ بل إنه يهفو الى كل وجه جميل ، ولو كان وجه جندى من الكماة ، وهو يحن الى مجالس الأنس يسعى إليها ويدعو صحبه ليشاركوه لذته ، وهو يأنس الى الطبيعة يحب جمالها ، ويغرم بمفاتنها فيصفها ، وهو يجد لذة فى الخروج الى الصيد يخرج الى الفلاة مع رفقة حسان الوجوه ، ثم يعود بما وقع فى يده من صيد ، وذلك كله نتيجة لهذا المذهب الذى اختطه لنفسه ، وكان شعره صورة حية له ، فأنت تسمعه يصف الخمر ويقول :

تأمل كئوس عتيق الرحيـ ـق ترى الماء يجمد والخمر ذائب

لها فى الزجاجة رقص الشبـ ـاب ومفرقها أشمط اللون شائب
وترعد غيظاً إذا أبرزت من الدن كالمحصنات الكواعب
كأن الحباب على رأسها جواهر قد كللت فى عصائب
لحرتها صح عند المجو س أن السجود الى النار واجب

ويصف موطن لذة نال فيه السرور من الخمر والساقى ويقول :

رق الزجاج وراق كأس مدامنا ورضاب ساقينا الأغن الأهيف
فمزجت ذاك بهذه وشربتها ولثمته ، وضممته بتلطف
وجنيت من وجناته لما استحى وردا بغير رضا بنا لم يقطف
ورنا الى بطرفه فكأنما أهدى السقام لمدنف من مدنف
بتنا وقد لف العناق جسومنا فى بردتين : تكرم وتعفف

ويقول مرة أخرى متغزلاً بالساقى وكان من الأتراك :

ساق كأن جبينه فى شعره قمر تبلج فى الليالى السود
غصن ترنح خصره فى ردفه فعجبت للمعدوم فى الموجود
إياك والأتراك إن لبعضهم أشخاص غزلان وفعل أسود
أجسامهم كالماء إلا أنها حملت قلوباً من صفا الجلمود

وتسمع منه غير ذلك كثيراً فى وصف الخمر وسقاتها والتغزل فيهم ؛ ولعل بعضهم لامه على شرب الخمر أو على الاكثار من شربها فقال له :

الراح روحى ، فكيف أهجرها منظرها طيب ومخبرها
راح إذا ما الفقير صافحها أغناه ياقوتها وجوهرها

فاذا ذهبت تستمع الى حبه للطبيعة وغرامه بها سمعته يقول :

قس بالسماء الأرض تعلم أنها بكواكب الأزهار أحسن زخرف
أحداق نرجسها لخد شقيقها مبهوتة بجماله لم تطرف
والطل فى زهر الأقاح كأنه ظَلْم ترقرق فى ثنايا مرشف

وهو إحساس طيب وشعور حميد يوجه نظرك إلى أن فى الأرض جمالاً قد تزيد قيمته عما فى السماء من نجوم وكواكب ، فليقبل على الزهور يتمتع بمرآها ، ويستلذ بشميم رياها وينعم بجمالها . كما كان له – كما حدثتك – لذة خاصة فى الصيد حينما يخرج مع جماعة (حسان الوجوه) فيصطادون ويتمتعون وهو يصف لك ذلك فى قوله :

برزنا الى اللهو فى حلبة حسان الوجوه خفاف المراكب
بنادقهم فى عيون القسى كأحداقهم فى قسى الحواجب
فتلك لها طائر فى السما ء وهذى لها طائر القلب واجب
وحلّت سوابق شهب خوا طف حُجْن المنا سر حُوُّ المخالب
بزاة لها حدق الأفعوا ن وأظفارها كحماة العقارب
فللأفق نسران : ذا واقع وذا طائر حذر الموت هارب
وأطلق كَلاًّ بنا ضارياً يبارى هبوب الصبا والجنائب
تطير به أربع كالريا ح ويفتر عن مرهفات قواضب
ويضرب فى ليل جلبابه شعاع شهاب من العين ثاقب
وعدنا نجر ذيول السرو ر والطير والوحش ملء الحقائب

ألا تراه يصف لك رحلة شيقة ؟ إذ أنه قد خرج مع جماعة حسان الوجوه يقصدون اللهو والتمتع فاختاروا الصيد ملهى لهم نخرجوا يبغونه ، ولكنه قبل أن يصف لك مافعلوه فى رحلتهم مضى يحدثك عن جمال رفقته وأن عيونهم كالسهام تصيب القلوب وتدميها ، فأحداقهم كالبنادق هذه هدفها طائر فى السماء ، وتلك يجب لها طائر القلب ويخفق

ذهبوا الى مكان الصيد فأطلقوا بزاتهم وكلابهم فانطلقت لاتلوى على شىء تصطاد ما عن لها ، وبعد أن وصف لك بزاتهم وكلابهم التى كانت عدتهم طمأنك على نتيجة الرحلة وأنها أنتجت نتيجتها فعادوا يجرون ذيول السرور والطير والوحش ملء الحقائب

هذا وكان أكبر شىء يسره مجلس أنس يجمع بين روضة فيها مختلف الأزهار والورد حف بها نهر ، وهناك بين أصحابه يجلس مغن يطرب السامع ويملك عليه نفسه ، ثم تدور المدام فى يد ساق جميل فيسكر سكرين من الخمر وجمال الساقى . وقد وصف ذلك المجلس حينما أرسل الى أحد أصحابه يستدعيه إذ قال :

نحن فى روضة وزهر ونهر ومدام كالشمس من كف بدر
ومغن قد راسلته الشحار ير ، فأغنت عن جس عود وزمر
أنت روح ، ونحن جسم فان غبـ ـت فان القلوب تكوى بجمر
إن كفا إليك قد كتبتها تتهادى ما بين سكر وشكر

فأنت ترى من كل ماذكرناه أنه كان يذهب فى الحياة مذهب الذين يريدون أن ينالوا منها كل متعة ولذة ، يلتمسونها فى كل مكان ، وترى أن مثله الأعلى فى الحياة كان أن يتمتع بها ، ولا يضن على نفسه بشىء من مباهجها ، وكله ثقة فى أن الله سوف يغفر الذنوب جميعاً

(البقية فى العدد القادم) أحمد أحمد بدوى

٦ – بين القاهرة وطوس

نيسابور

للدكتور عبد الوهاب عزام

برحنا سبزوار والساعة ثمان من صباح الخميس ثاني رجب سنة ١٣٥٣ (١١ أكتوبر سنة ١٩٣٤) فضربنا في السهل صوب الشرق نصف ساعة . ثم ارتقينا جبلاً هبطنا منه الى سهل فسيح ، وهكذا رأينا إيران مابين قصر شيرين وطوس ، سهولاً تحيط بها جبال ، فما يزال المسافر على جبل أو في سهل يفضي البصر فيه الى جبل حيثما توجه . هبطنا سهلاً كثير الشجر والزرع ، قد انتثرت القرى في أرجائه ، تحيط بها الأشجار الباسقة ، ورأينا زروعاً شتى منها البطيخ والقطن . ورأينا لوز القطن قد تفتح ، ولما تعدُ الأعواد ذراعاً

وبعد مسيرة ساعة وربع من سبزوار ، نزلنا بقرية على الطريق اسمها شوراب ، فأكلنا من عنبها واسترحنا قليلاً . ثم استأنفنا السير تلقاء نيسابور والقلوب يملؤها الشوق ، والفكر يستجمع ما وعى من أحاديث التاريخ عن المدينة العظيمة ذات المياه والقرى والأشجار — المدينة ذائعة الصيت في العلم والأدب التي نشّأت علماء يفتخر بهم المسلمون على الأدهار ، بلد مسلم بن الحجاج صاحب الصحيح ، والحاكم المحدث الكبير ، وأبي القاسم القشيري صاحب الرسالة ، ومحيي الدين النيسابوري الفقيه ، وفريد الدين العطار وعمر الخيام — المدينة التي يقول فيها الخيام

شراب نشابور وآب دبير   جوانى كند گرخورَد مردبير

وترجمته (شراب نيسابور وماء دبير يردّان الشيخ الى شبابه)

ويقول الأنوري :

حبذا شهر نشابوركه در بشت زمين
گربهست است همين است وگرنه خودنيست

وترجمته « حبذا مدينة نيسابور ! إن يكن على ظهر الأرض جنة فهذه ، وإلا فلا جنة »

نيسابور مدينة أزلية ، يروى الفرس أن بانيها طهمورث ثالث الملوك البيشداديين ، وأن اسكندر الكبير خربها ثم عمرها شابور الملك الساساني فسميت باسمه . وقد عرفها اليونان القدماء وسموها نيسوس . ويقال إنهم سموا باكوس إله الخمر ديونيسوس أي إله نيسابور

وقد تعاقب عليها البُناة من الساسانيين والعرب والغزنويين والسلاجقة كما توالت عليها النوائب من الزلازل والغارات في عصور شتى . أصابها زلزال عظيم سنة نيف وخمسمائة من الهجرة وسنة ٦٦٦ وسنة ٨٠١ . ودمّرها الغُزّ سنة ٥٤٨ حين غلبوا السلطان سنجر السلجوقي وأسروه . وهي المصيبة التي نظم فيها الأنوري الشاعر الفارسي قصيدته المعروفة « دموع خراسان » ولكن المدينة على رغم هذه المصائب كانت في معظم العهد الاسلامي قبل التتار عامرة مزدهرة حتى سميت أم البلاد وقبة الاسلام

وقد رووا في عمرانها ونضرتها ما يستبعده العقل . فمن عجائبها الاثني عشرية أنه كان بها اثنا عشر معدناً للفيروز والنحاس والمرمر وغير ذلك . واثنا عشر نهراً تنحدر من الجبال ، واثنا عشر مائة مدرسة (أي ألف ومائتان) واثنا عشر مائة قرية ، واثنا عشر ألف قناة تجرى من اثني عشر ألف ينبوع

قال ياقوت ، وهو ممن أدركوا غارات التتار :

«وأصابها الغز في سنة ٥٤٨ بمصيبة عظيمة حيث أسروا الملك سنجر وملكوا أكثر خراسان ، وقدموا نيسابور ، وقتلوا كل من وجدوا ، واستصفوا أموالهم حتى لم يبق فيها من يعرف ، وخربوها وأحرقوها ، ثم اختلفوا فهلكوا . . واستولى عليها المؤيد أحد مماليك سنجر فنقل الناس الى محلة منها يقال لها شاذياخ وعمّرها وسوّدها ، وتقلبت بها أحوال حتى عادت أعمر بلاد الله وأحسنها وأكثرها خيراً وأهلا وأموالاً لأنها دهليز المشرق ، ولا بد للقوافل من ورودها . » وقال بصفها قبيل غارة التتار : « وعهدي بها كثيرة الفواكه والخيرات » وقال : « لم أر فيما طوفت من البلاد مدينة كانت مثلها »

ثم كانت القارعة التي دمرت حضارة الاسلام — كارثة التتار — فأحرقوا وهدموا ، وقتلوا وسبوا وسلبوا ، وتركوها خاوية على عروشها ، ولم تنسها المصائب من بعدُ ، فقد أغار عليها الأزبك وغيرهم في عصور مختلفة

ذكرنا هذه الخطوب ونحن قادمون على نيسابور ، ولكن خيال المدينة الكبيرة المزدهرة المزدحمة بمساجدها ومدارسها كان يغلب علينا فنمني النفس برؤية نيسابور في زينتها وجلالها

وردناها والساعة عشر وثلث فأبصرنا الى يسار الجادة قرية

هى بقية الأحداث من نيسابور ، كما يبقى من الجنة الناضرة عود يابس ، أو من الرجل العظيم قبر دارس

ماتت المدينة فلم يبق إلا أن نزور قبرها فيما بقى من قبور أبنائها ، فها نحن أولاء نسرع المسير إلى قبر عمر الخيام . وقفت بنا السيارات بعد قليل على حديقة بعيدة من البلد فدخلنا بستاناً كبيراً تتوسطه طريق واسعة ، فهبطنا درجات إلى مستوى سرنا به خطوات ، وهبطنا إلى مستوى آخر ، وبجانبنا قناة تنحدر إلى المستوى الأسفل فتفضى إلى حوض فى وسط الطريق . وتنتهى الطريق إلى مسجد صغير جميل نقشت على بابه آيات من القرآن ، واسم الشاه طهماسب الصفوى الذى بناه . وفى المسجد ضريح لأحد أبناء الأئمة من آل البيت النبوى رضى الله عنهم ، واسمه محمد المحروق وينتهى نسبه إلى زين العابدين على بن الحسين

وإلى يمين المسجد مصطبة لها درجات قليلة ولها سياج من الرخام وفى وسطها عمود كتب على أوجهه أبيات من الشعر . فهذا قبر عمر الخيام . وقد سمعت ممن زاروا القبر قبلاً أنه كان فى طاق فى جدار المسجد (وفى جدار المسجد على جانبى الباب طاقان) ثم نقل إلى هذا الموضع

لم يعجبنا قبر الخيام ، فقلت لوزير المعارف ، كان ينبغى أن تكون بجانب القبر أشجار تهدل أغصانها عليه ، وتنثر الأزهار فوقه كما وصف الخيام قبره قبل موته ، وكما رآه نظامى العروض بعد موت الخيام فوجده مصدّقا لما قال . قال نعم . لابد أن يكون كما وصفت

كتب على صفحة من العمود : « الحكيم عمر الخيام – وفاة الحكيم سنة ٥١٧ هجرية – » وفوق ذلك رباعية من نظم ملك الشعراء بهار ترجمتها : اجلس إلى قبر الخيام واقض الوطر ، وابتغ فراغ ساعة من غمّ الأيام . إن تسأل عن تاريخ بناء مرقده فهو « أطلب سر القلب والدين من قبر الخيام » (راز دل ودين زقبر خيام طلب)

وعلى الصفحة الثانية رباعيتان ترجمتهما :

عاد السحاب يبكى على العشب الأخضر ، فلا ينبغى العيش بغير الخمر الحمراء . هذا المرج مسرح أبصارنا اليوم ، فليت شعرى من يسرح بصره غداً فى أعشاب قبورنا ؟

نحن لُعَب ، والفلك بنا لاعب ، حقيقة هذه لا مجاز فيها ، كنا لاعبين على نطع هذا الوجود ، فعدنا إلى صندوق العدم واحداً بعد آخر (١)

وعلى الصفحة الثالثة رباعيتان :

ظهر بحر الوجود من الخفاء ، وما استطاع أحد أن يثقب جوهرة الحقيقة هذه ، كلّ تكلم بما يهوى ، وما قدر أحد أن يبين عن الحقيقة

ليس عندنا يقين ولا حقيقة ، ولا يستطاع تزجية العمر كله فى رجاء هذا الشك ، هلم نأخذ أقداح الصهباء بأيدينا لا نضعها ، ما فرق الصاحى والسكران فى هذه الجهالة ؟

وعلى الصفحة الرابعة رباعيتان :

أولئك الذين كانوا بحار الفضل والآداب ، وصاروا فى كمالهم مصابيح الأصحاب ، لم يجدوا للخروج من هذا الليل المظلم طريقاً ، فحدّثوا بالأساطير ثم أخذهم النوم

إن هذا الدوران الذى يتجلى فيه مجيئنا وذهابنا ، لا تستبين له بداية ولا نهاية ، ولا يستطيع أحد أن يخبر صادقاً من أين جئنا وإلى أين نذهب »

ووراء قبر الخيام مزهرة جميلة كتب على أرضها بألوان النبات : « حكيم عمر خيام » ، ورأينا بجانب القبر خابية ، كأن واضعيها رأوا مناسبة بينها وبين قبر الشاعر الذى كان مستهتراً بالخمر . وقرأت على هذه الخابية أنها موقوفة على مسجد إمام زاده محمد المحروق . فقلت قد وضعت فى غير موضعها ، وقرنت بما هى منه براء

وقد مُدّ وراء قبر الخيام رواق كبير وضعت فيه كراسى للجلوس ومدت فيه موائد الطعام

استراح الوافدون قليلاً واجتسوا ما شاءوا من أصناف الشراب ثم وقفوا يشربون على ذكر الخيام ، قلت بئس ما ذكرتم صاحبكم ! وانتبذت أنا وزميلى الأستاذ العبادى جانباً وتركنا القوم وخيّامهم . وقلت لبعض رفقائنا الإيرانيين أين قبر العطار ؟ فلا بد لقادم نيسابور أن يزوره . فيسّر لنا المسير إليه فذهبت أنا وبعض الحاضرين إلى قبر العطار . سارت بنا السيارات فى طريق غير معبدة فانتهينا إلى حديقة ذابلة الشجر والزهر ، وفى وسطها بنيّة ثمانيّة عليها قبة ، ولجنا الباب خاشعين إلى قبر عال عليه كسوة خضراء ، وإلى رأسه عمود أسود أطول من القامة قليلاً

(١) إشارة إلى لعبة الشطرنج

عليه آية الكرسي وأبيات فى مدح الشيخ فريد الدين العطار . لبثنا برهة فى حضرة شيخ الصوفية الجليل ، والشاعر المفلق المكثر الذى نظم زهاء ثلاثين منظومة فيها أكثر من ألف ألف بيت — ناظم منطق الطير ، وإلهى نامه ، وأسرار نامه ، وجوهر الذات الخ ومؤلف تذكرة الأولياء ؛ ثم بؤنا بغير ما باء به أصحاب الخيام ، والقلب خشع . والذكرى الجليلة آخذة على النفس آفاقها

وهنا تحيفة لا يسعنى إهمالها :

بينما أخرج من باب حديقة العطار أحسست بوخزة فى كفى فظننت زنبوراً لسعني ، فأخبرت رفيق الشاعر الشاب النابغة رشيد الياسمي فضحك وقال : قبلت الزيارة . قلت : لاغرو أن تكون وخزةً من العطار ينبهنى بها من الغفلة . ألم يقل معاصرو العطار : « إن شعره سوط السالكين » ؟ قال بلى . ثم ارتجل بيتاً فارسياً

نيس عطار است اين ، زنبور نيست
گر تحمـــل ميكني زو دور نيست

(هذه حمة العطار لا حمة الزنبار ، فان تحملت فهو أهل لذلك)

فأجبته فى الفور :

لسع الزنبـــار كفى عادياً ودواءً كان شعر الياسمى

ولما قدمت مشهداً جاء الىّ شاعرنا النابغة وقد نظم أبياتاً كثيرة فى هذه الواقعة أترجمها نثراً فيما يلى معتذراً اليه من هذه الترجمة المزيجة التى لا تفى بشعره السلس ، ومعتذراً الى القراء عما فيها من مدح :

جاء عزام من أرض مصر المختارة الى نيسابور من أرض إيران ، فأراد أن يقبل تربة العطار إذ ملأت محبته روحه ، وذهب بدءاً الى مرقد الخيام فرأى مكاناً ناضراً زاهراً ، وسمع صيحات الطرب ، ورنات الكؤوس من كل جانب ، ورأى القلوب تفور بناز الصهباء . قال عزام : أيها القلب دع بساط الشراب والسرور ، واعجل الى العطار ذلك الشيخ الوقور ، فسلك الصحراء رجل الطريق[1] هذا حتى رأى قبراً عليه حجر أسود ، فلثم سدة العطار وطاف فى هذه البقعة المباركة . ثم صاح بغتة وقال مضطرباً : قد أصاب كفى زنبار . قال له الياسمى : يا عالم مصر ! بل يا أيها الدر المتلألىء فى بحر مصر !

(هذه حمة العطار لا لسعة الزنبار ، فان تتحمل فهو لذلك أهل)

(١) الطريق هنا طريق الصوفية

حمة العطار توقظك حتى لا تخلو لذة من ألم[1] إن تبتغ الحبيب فلا بد من السعى الجاهد ، وإن ترد اللذة (نوش) فلا بد من الحمة (نيش) . إن تكن ذقت حلاوة الخيام ، فوخزة العطار خير يا عزام

من يخزك يوقظك من الغفلة ، ومن ينعّمك يدعك فى غمرة . وخزة اليقظة تبعدك من الضلال ، واللهو ينأى بك عن السداد ، وانبعثت حينئذ من هذا الجدث صيحة بينة مفصحة وعتها أرواحنا :

« يا من اختلط وجوده بالعدم ، وامتزجت لذته بالألم !

إذا لم يتداولك الهبوط والصعود ، فكيف تعرف نفسك فى هذا الوجود[2] »

رجعنا من العطار الى الخيام فذكرت فى الطريق قول حافظ الشيرازى . . .

(يتبع) عبد الوهاب عزام

(١) فى الأصل « نيش ونوش » أى الوخزة واللذة وهما كلمتان مقترنتان فى الأدب الفارسى تقارب اللفظين

(٢) هذان البيتان للعطار نفسه

البعث

بقلم فريد عين شوكه

إلى مهد الرسالة فى عامها الثالث
تحية عيد الوطن وعيد الميلاد

سلاماً فتيةَ الوطنِ المفدَّى … وأشبالَ الفراعنةِ القُدامَى
دعَتْ مصرُ العزيزةُ فالتففتُمْ … جُنوداً حولَ رايتها قياما
وأشعلتُم بها رُوحاً فتيًّا … يُكشِّفُ عن جوانبها الظلاما
وكان بقلبها جرحٌ تنزَّى … وأرهق جسمَها المُضْنى سقاما
فسَّته أناملُكم فأغفَى … وكاد اليومَ يلتئمُ التئاما
ألستُمْ خيرَ مَنْ يحنو عليها … إذا ما الرَّوعُ لجَّ بها احتداما؟
شبابَ النيلِ مصرُ إليك تشكو … بَنينَ تفنَّنُوا فيها اجترَاما
فكانوا الجندَ للباغي عليها … وفى أيدى الدَّخيلِ بها حُساما
يُمزِّق شملَها بدَداً ويُوهِي … حَنَايا جسمها الواهي كِلامَا
وكم فى مصرَ من أبناءِ سُوءٍ … أضاعُوها وما خَفَروا الذِّماما
فكالُوها عذاباً واضطهاداً … وساموها سِباباً واتِّهاما
وعاثُوا فى نواحيها فساداً … أحبَّتْ دونه الموتَ الزُّؤاما
وعبُّوا كل موردها اختلاساً … وما عرَفتْ نفوسُهُم احتشاما
أولئك شرٌّ من ولدَتْه مصرٌ … فجازاها عُقوقاً وانتقاما
أولئك داؤها يفرِى حشَاها … ويُرهِق صدرَها نُوَباً جِساما
مُصابُ النيلِ أبناءٌ رَعاعٌ … ليغدُوا فى كِنانَتِه سهاما
فكانوا معوَلَ العادِى عليه … وباتُوا فيه حربا لا سلاما
سَليلَ النيلِ ويحكَ كيف تغفُو … وقدْ نخَرَ الفسادُ بك العظاما
أترضى أن تَذِلَّ بأرض مصرٍ … ويصبحَ عُودُك النادى حطاما
ونيلُك ما أحنَّ ثَراه مهداً … وأشهَى عذبَ مورده مُداما
وأرضُك جنَّةٌ شفَّتْ سماءً … رطابتْ منبتاً وزكتْ مُقاما
تدرُّ على الأجانبِ ما أرادوا … وتلقَى أنتَ صيِّبَها جَهاما
وكم من أجنبيٍّ جاء يسعى … إليها ليس يمتلك الرَّغاما
فينهل وِرْدَها العذبَ المصفَّى … ويلتهم الغِنَى فيها التهاما
ويعتقد الضِّياعَ بها ويُثْرِى … ثَراءً تحت أعيُنِه ترَامَى
ويحسُده البنون وقد تناسَوْا … متى أثرَى وكيف بها تسامَى
لقد أفنى الحياةَ بها جهاداً … وهم عَبَرُوا حياتَهُم نياما
وكم ضاقت مواردها ولمَّا … يضيقوا بالكفافِ لهم طعاما
ولو حرمتْ نفوسُهُم جَنَاها … لعاشوا رغم وفرتِه صياما
فيالَضراعةِ الأبناء حتى … رضُوا بالعيش ذُلاً واهتضاما
ويالَهوانهِمْ حتى استراحوا … إلى أن يصبحوا فيها طَغَاما
صَحَوْنا أيها الوطنُ المُفدَّى … وقمْنا نستردُّ لك السَّناما
وجمَّعنا هواكَ على صفَاءٍ … فقد ضقْنا بواديكَ انقساما
سندفعُ عن حماكَ فلا يُغشَّى … ونرعَى عذبَ وِرْدِكَ أن يُساما
فلا يلقى الغريبُ له كِفافاً … ولا يَروِى بوادينا أُواما

فى مصر شباب !.

على أثر ما قام به الشباب طيلة أيام العيد من جهاد فى سبيل الاقتصاد

بقلم محمود غنيم

آمنت أنَّ فى الحمى شباباً … أغرَّ جبارَ القُوَى وثَّابا
ينتزع الثنــاء والإعجابا … ويُسمعُ الصمَّ إذا أهابا
شاهدتُه وقد مشى أسرابا … يفتل للصناعة الأسبابا
مرتدياً من طُهره جلبابا … منتضياً من عزمه قرضابا
تخاله إذا مشى شهابا … كأنَّ تلك الأيدىَ الرطابا
تقدِّم الصهباء والأكوابا … إذ بُسطت تسألُ الاكتتابا
منْ ناطحتْ أهرامُهُ السحابا … لم يعْيِه أن يصنعَ الثِّقابا
أو ينسجَ الصوفَ له ثيابا … لا تبتنوا القصورَ والقبابا
بل ابتنوا المصنعَ والدولابا … ينفثُ من دخانه ضبابا
يُمطر مصرَ ذهباً لبابا … ترى الأكفُّ فحمَه خضابا
إنْ تفتحوه تفتحوا أبوابا … ينصبُّ منها الرغدُ انصبابا
منْ يبنِ مصنعاً بنى محرابا … ومنْ يسدْ بغير مال خابا
لم أرَ شعباً بلغ الآرابا … وماله لم يبلغ النصابا
أوطاننا عشنا بها أغرابا … ضيوفُها باتُوا لها أربابا

جاسوا خلال أرضها ذئابا   واحتكروا الطعام والشرابا

فامتلكوا بذلك الرقابا   هم فى الهواء زاحموا العُقابا

وفى العُباب ملؤا العبابا   لغير مصرَ نِيلُ مصرَ طابا

إنا شربناه فكان صابا   وشربوه سكَّراً مُذابا

ومَنْ سِوَى الشباب يحمى الغابا   يذود عن حياضه احتسابا

لا يبتغى أجراً ولا ثوابا   وغيرُه يقتسم الأسلابا

ويُحرز الأموال والألقابا

شبابَ مصرَ حسبُك انتسابا   إنْسَ الجدودَ واذكر الأعقابا

لا تَسْمُ ميراثاً بل اكتسابا   واغتصب المعالىَ اغتصابا

والحرُّ يدرك المنى غِلابا   لا يُمنح الحر ولا يُحابى

كن كالذئاب شرة ونابا   فانما الحياة أن تُهابا

لا أن تجيد الخط والحسابا   وتحذقَ العلومَ والآدابا

أضِفْ إلى تاريخ مصرَ بابا   يُحْدِث فى صفحته انقلابا

أكلّما سألته أجابا: كانوا رءوساً فغَدَوْا أذنابا

ثورةُ العقل

للشاعر التونسى محمد الحليوى

قلتُ للقلب خَلِّ عنك الأمانى   وأرحْنى فقد هدمتَ كيانى

ماضلالُ الخلود.. ماباطلُ المجد   وما الصِّيتُ مالئُ الآذان؟

أترى هذه الأكاذيبَ حقًّا   أتراها جديرةً بالتوانى

أيُّها القلب ثُبْ إلى الرُّشد وانظر   نظرةَ العقْلِ فى لُباب المعانى

إنَّما الخُلدُ والخلودُ خَيالٌ   وخَبَالٌ فى فطرة الانسان

ذاك يا قلبيَ المريض عزاء   يَهَبُ النَّفس راحةَ السَّلوان

قَدْ تَراءَتْ لك الحياة سَرَاباً   أو كطيفٍ يمرُّ بالوَسْنان

فتطلَّبْتَ من غُرورك مجداً   وأردتَ الخلود فى الأزمان

ورأيتَ الشِّبرَ الذى أنت فيه   غير كُفْءٍ لكبرك الإنسانى

فملأتَ الدُّنيا دوياً بغيضاً   مُجْلِباً، كىْ يحسك الثَّقلان

ضلةً ضلةً، أيا قَلْبُ أقْصر   وأرحنى فقد بريْتَ كيانى

أنتَ نحسى وشقْوتى وعذابى   واغترابى فى مُنْتَدى الأخدان

أنتَ بؤسى فى غَدْوتى ورواحى   لا تنِي الدَّهرَ باعثاً أشجانى

أرْهقَتْنى كآبتى وانفرادى   وحنينى لغامضات المعانى

وحياتى قَضَّيْتَهَا زَفَراتٍ   مُحْرِقاتٍ. أأنْتَ كالبُرْكان؟

يَا فؤادى تجاهل المجد وانعَمْ   وَأَرِحْنى.. فقد مَحَقْتَ كيانى

سُمتَنى العَسفَ فى طِلاب الأمانى   وَتَكاءدْتَ فى العُلا جثمانى

بعتَ للمجد لذَّتى وكئوسى   ومُدامى ومجلس الرَّيحان

وشبابى أذْبَلْتَه وهو غضٌّ   فى كتاب ودفتر وَسِنانِ

اللَّذاتُ الأتْرابُ فى فَضل عيش   ناعم الظلّ، مُعجبٍ، ريّان

يَنْهلونَ الشَّباب والحبَّ كأساً   من رُضاب الكواعب الحُسّان

فى ضياءٍ وفى صفاء ولهوٍ   وعبيرٍ منشَّر وأغانى

وبقينا أنا وأنتَ فُرادى   فى جحيم الآلام والأحْزان

قُلْتَ: إنّى مغرّدٌ لا أُبالى   فى سمائى بعلّة الدَّوران

أنظم الشعر فى الحياة وأبكى   فى تظيمى شقاوة الانسان

ذاك حَظّى.. وما أبهتُ لَمَجْدٍ   أو رجوتُ الخلودَ فى الأزمان

قُلْتَ: يا بؤسَ طائر يتغنَّى   فى ضجيج الأحياءِ والأكوانِ

أتراني أقولُ ما قال قَبْلى   شَكْسبيرُ أو شاعرُ اليونان

كان هوميرُ - أيُّها القلبُ - شيخاً   دائب السَّير، طلبة البلدان

يذرع الأرض، ضاربا فى مَداها   سَاغِبَ البطن، ذاحَشاً ظمآن

يطلب النَّزْرَ من طعامٍ وريّ   بأغانى الآباد والأزمان

يا لأعمى يجوبُ برًّا وبحراً   دامىَ القلب دامى الجثمان

يا لكُرْنيل يَرْقع النَّعل فقراً   وعليّ يضيقُ بالطيْلَسان(١)

هان أمر النبوغ فى الأرض حتى   صار محضُ النبوغ محضَ الهوان

قسّم الله ملكه فى البرايا   ثم خصَّ الأديب بالحرمان

خصَّهُ بالإسار والقَتْلِ والتّغ   ريب والنفى عن حِمَى الأوطان

خصّه بالعذاب، بالألم الدّائب   بالإضطهاد بالنُّكران

---

(١) كرنيل هو الشاعر الفرنسى الشهير وقصة نعله نظمها الشاعر (تيوفيل جوتى) فى قصيدة مؤثرة يعاتب فيها لويس الرابع عشر على إهماله ذلك الشاعر العظيم، وعلى هو ابن الرومى وشعره فى الطيلسان الذى أهداه اليه ابن حرب معروف من القصيدة التى يقول فى أولها:

يا ابن حرب كسوتنى طيلساناً   يتجنى على الرياح الذنوبا

فصول ملخصة فى الفلسفة الألمانية

٥ — تطور الحركة الفلسفية فى ألمانيا

شيلنج Shelling

١٧٧٥ — ١٨٥٤

للأستاذ خليل هنداوى

وهـذا هو « شيلنج » الذى ورث « فيخت » وتبوأ مقعد الفلسفة بعده ؛ درس اللاهوت وألم بالعلوم الطبيعية ووقف على شىء من الطب ، ولكن المزاج الفلسفى غلب فيه على كل مزاج آخر ، فهجر هذه العلوم وآب الى الفلسفة ، فجاءت خطراته الأولى يغلب عليها روح أستاذيه « فيخت » و« كانت » ، ولم يكن لعقله ذلك النضوج وذلك التفكير المستقل اللذان يستطيع بهما أن يطهر فكرته من الصور التقليدية ، ويجعلها ابنة تفكيره الذاتى . ترى آراء « فيخت » شائعة فى هذه المقدمات حتى تقول : « إن فيخت » يمثل دوره كرة ثانيـة . لولا أن شيلنج يفر بفلسفته من « فيخت » الى مذهب القائلين « إن الاله الواحد إنما هو كل الكائنات ... » وقد يستبد شيلنج بهذه الآراء التى رددها ، ويحسب أنها آراؤه الذاتية ، فلا يذكر « فيخت » ولا يرجع اليه برأى ولا حديث ، ولكنه شديد الاحترام للفيلسوف « سبينوزا » الذى أمده بروحه ، وقاد عقله فى كثير من مراحله ؛ وهو الذى أراد أن يستخلص مذهباً يجمع بين فكرة سبينوزا ونقد كانت وكمال فيخت ، وبعد أن رأس المدرسة الفلسفية كتب آراءه ونظراته فى فلسفة الطبيعة حيث شاء أن يعيد العالم الخارجى الى نظامه بعد أن قتلته المدرسة (الكمالية) وشوهت حقيقة مظاهره ؛ ثم أخرج كتابه «مذهب الكمال العالى » وفيـه زبدة مذهبه الفلسفى والصورة الكاملة الحاوية لمذهبه

لم تكن فلسفة شيلنج كفلسفة (كانت) ابنة تأملات عميقة ونظرات متعاقبة ، ولا كفلسفة (فيخت) نتيجة نظرات بعيدة فى الأخلاق والكمال ، وإنما كانت حصاد المخيلة ونتاج الخيال . فكان « كانت » يفكر ويستقصى ويتعمق ويكثر من التأمل ، وفيخت كان يتثبت من صدق الفكرة ثم يأمر ، ولكن شيلنج راح يثبت ما توحى اليه مخيلته وينزل عليه خياله ، وهكذا تطورت الفلسفة وأخذت تلين بعد شدتها وترق بعد صرامتها ، ويزول عنها هذا اللون العميق القاتم ، وتدنو برفق من الشعر والفن ؛ والشعر والفن دائبان عاملان على تلطيفها وترقيقها حتى لا تكون عالة على المخيلة ، ولا تكون المخيلة عالة عليها ، فأمسى الفيلسوف — كما تمثله الأقدمون — شاهداً ينظر الى تآلف الأشياء وانطباق أجزائها ، وعلاقة النهاية باللانهاية ، والحقيقة بالكمال . وشيلنج يرى أن الفيلسوف لاغنى له عن المخيلة ، وعن الوحى الذى يستمده من نفسه ، وعن الخطرة التى تفيض بها قريحته ، وهو فى هـذه الملاحظات يجمع بين الفيلسوف والفنان برغم اختلاف رسالتيهما ، ولكنه لايهمل أداة الملاحظة والتأمل اللذين خلقا العالم الفلسفى ، ولكنه لايميل اليهما إلا قليلاً . ولهذا الاعتقاد الذى وسم مذهبه الفلسفى بميسم الفن رأينا أن فلسفة شيلنج جاءت فلسفة هادئة مسالمة لاحركة فيها ولا ثورة

إن « فيخت » برغم ما بذل من جهد استنفد وسعه للعمل على ربط فعّالية عقل الانسان وأخلاقه بوثاق واحد ومذهب

ورماهُ فى ذى الحياة ضعيفاً ... أعزلاً بين كلّ ذى سُلطان
حاملاً كالإلـه قلباً كبيراً ... فيه مافى الوُجود من أكوان
فقضاها من الحياة حياةً ... فى عذابٍ ووحشةٍ وامتهان
وتردّى . . . فقيل كان عظيماً ... أوحقيراً . . . واستقتل الخصمان
ثم خطّوا ضريحه فى خراب ... أو أقاموا تمثاله للعيان
وتغنّوا بقوله فى هيام ... أو رموهُ فى موقد النيران
ما تراه جناهُ فالقبرُ راسٍ ... وصدى المجد ضائع فى الزمان
أيها القلبُ ليس فى الأرض حقٌّ ... غيرَ موتٍ تموتُ فيه الأمانى
كلُّ شىءٍ فى مذهب العقلِ شكٌّ ... كلُّ شىءٍ يفنى مع الأزمان
وإذا كان منتهى العمر موت ... فلماذا نضيعه فى الأغانى . . ؟
باطلٌ باطلٌ أيا قلب أقْصِرْ ... ما يفيدُ الخلود والدهر فانى
قال لى القلبُ لاهنئتَ بعيشٍ ... أنتَ والغمرُ(١) فيه تستويان

(تونس) محمد الحليوى

(١) الغمر : الجاهل الذى لا تجربة له ولا رأى

واحد ؛ نراه غادر فى مذهبه هذه (الثُنائية) التى لم يجدها شيلنج صحيحة ، فعالَم الروحَ الداخلى لا يمكننا أن نشاهده ونطلع على غيبه إلا بوساطة العالم الخارجى عنا ؛ كما أن العالم الخارجى لا يُلمس إلا بمعونة عالم روحنا . وهكذا يجد الفيلسوف نفسه أمام مادتين جوهريتين مفترقتين متماسكتين ، فأراد شيلنج أن يمحو هذا التنازع بينهما ، وهو تنازع لم ينكره فيخت ، فتحرى شيلنج فى كلا العالمين عن قانون أعلى يضم بينهما ، فوجد هذا القانون فى الواحد المطلق «L' absolu» مبدأ ومنتهى كل وجود ، وملتقى عالم الحقيقة بعالم الكمال ، والموفق بين الأضداد . وقد أحل مذهبه هذا محل المذهب العلمى ، واعتقد أنه قد وُفِّق فى إيجاد الاتحاد المنشود ، وجمع الأجزاء المتفرقة ، وتوحيد المعرفة الانسانية

وفى الحقيقة إذا تعمقنا فى حقيقة هذا المذهب الذى جاء به شيلنج رأينا أنه هو ذات المذهب الذى يجعل الله هو كل الكائنات ، والواحد المطلق الذى أنشأه وافترضه شيلنج هو هذه المادة الأزلية التى لاحظها وبشّر بها « سبينوزا » ، هذه المادة التى تحل متفقة فى عنصرين متضادين وعالمين مختلفين : عالم الروح وعالم المادة . والصفة البارزة التى يتّسم بها مذهب « شيلنج » هى أنه أنشأ رباطاً محكماً وأوجد وحدة شاملة بين مظاهر الكون المختلفة ؛ فالوجود الحقيقى والوجود الروحانى السامى كلها عوالم مشتقة من نبعة الفكرة الالهية ، وهناك شئ من الميل الغريب بين أفكارنا والمرئيات ، فنحن نحمل فى أنفسنا صورة لكل شئ تقع عليه أعيننا ، وهذه الصورة قد لاتلوح فى الذاكرة سريعاً ، ولا تكون وليدة ملاحظاتنا الحينية ، ولكنها ابنة تصور راسخ فينا منذ القدم ، مندس فى شعورنا . فما هو إلا أن نهيب بهذه التصورات حتى نحس أن هذه الصور أخذت تمر بنفوسنا ، فاذا أردنا أن نعرف الكون فما علينا إلا أن نتأتى فى صحف أنفسنا وأن نتبع بنظرنا الباطنى مجرى الأشياء ، وأن نقف على الحكمة المنطقية الالهية التى أبدعت الكون ؛ وهكذا يغدو علمنا مطلقاً وليس له الا صبغة الوحدة المسيطرة على العالم ، وتصبح الفلسفة لا تتوقف على التأمل الذى يلاحظ الأشياء ، ولا يدخل فيها ولا يحبونا إلا بمعرفة جزئية محدودة ؛ وإنما التأمل الحقيقى والادراك العقلى يجب أن يكونا قسماً من الخيال النظرى الذى يوحد بين الأفكار ويرتبها ، وإنما غرض الفلسفة أن تعمر الكون وأن تشيده وأن تعمل فى الخليقة على إبداء وجهتها الشعرية والفنية

لم يقف « شيلنج » جهوده على الفلسفة وحدها ، وإنما كان يخوض طوراً فى الفلسفة الكونية والنفسية ، وتارة فى التاريخ والفن ، وهو يفوز فى ساحة ، ويخفق فى أخرى ؛ أما فلسفته النظرية فقد جابهتها الحقيقة مجابهة قاسية ، وعلة ذلك أنه كان يجنح كثيراً إلى الافتراض ، وقد يكون الافتراض أحد العوامل الأساسية فى تقدم العلم ، ولكنه لا يغنى شيئاً فى تحليل المهمات التى لا يتناولها التحليل . وأما نظراته فى التاريخ فسرعان ما وهنت أركانها واضطربت أصولها ، وهو يمشى على أثر « فيخت » الذى قسم العصور الانسانية إلى خمسة أدوار ؛ يبدأ أولها بعصر الانسان الأول الذى لم يدنس عقله ونفسه شئ . وينتهى آخرها بالعصر الذى سيتسامى فيه الانسان وتحمله تأملاته النقية إلى فردوسه المفقود ؛ ولكن « شيلنج » حدد تاريخ الانسانية بثلاثة أدوار

إن عبقرية « شيلنج » لم تبرز واضحة إلا فيما استمده من قلبه وانتزعه من نفسه ؛ وفى مذهبه الذى لم يُوثق فيه خياله بوثاق العقل المحدود ، ولم يجد فى ادنائه من الحقيقة نُكراً . هـــذا المذهب الذى احتوى نظراته السامية فى الفن الذى وجد فيه شيئاً أسمى من الفلسفة . فالفيلسوف قد يُدرك المثل الأعلى ويفهمه ويقف عند ماوصل إليه عقله . أما الفنان فهو يأخذه ليسكبه فى قوالب مادية ، وهو فى خلقه وابداعه لا يقلد الطبيعة ، ولكنه يقلد ذلك الفكر الجبار الذى أبدع الطبيعة

عنت «لشيلنج» يوم كانت تربطه الصداقة بالشاعر «شيلجل» فكرة شعرية سامية فى مناجاة الطبيعة ، وبدأ يكتب مطلعها ثم بداله شيء صرفه عن فكرته ، وكأن هذه الفكرة الشعرية ظلت راسخة فى تلافيف فكره تتصرف بشعوره وتفكيره حتى إذا نضج عقله وتكشفت فلسفته جاءت وهى أدنى إلى الشعر والفن منها إلى الفلسفة المجردة

يتبع

خليل هنداوى

من روائع الشرق والغرب

ذكرى

لشاعر الحب والجمال لامرتين

كان لامرتين « قد حبس نفسه شهوراً طويلة فى شبه ناووس مع صورة من عبدها ثم فقدها » ثم « ألف الحزن والألم » وخرج من الفناء الذى ألقاه فيه موت چوليا حبيبته ، وراح « يتحدث بالمناجيات والصلوات والأدعية والشعر الى شبحها الذى لا يبرح ماثلا فى خاطره » . وهذه القصيدة قد نظمها فى ربيع ١٨١٩ « على مقعد من الصخر حول ينبوع متجمد فى الغابات التى تكتنف قصر عمه فى (أورسى) (١) »

عبثاً يتعـــاقب الجديدان ،
فلن يتركا أثراً فى حسى ،
ولن يمحوا صورتك من نفسى ،
يا آخر حلم رآه الوجدان

إنى أرى أعـــوامى السريعـــة
تتراكم من ورائى هاوية ،
كما ترى الســنديانة الرفيعـــة
أوراقها من حولها ذاوية .

جمتى شيبتها السنون الجاهدة ،
ودمى أبردته فلا يكاد يجرى ،
كأن هذه الموجـــة الهامدة
لفحتها ريح الجنوب فلا تسرى

ولـكن صورتك الوضيئة الحبيبة ،
تلك التى يزيدها أسفى جمالاً
لا تدركها فى قلبى الشيخوخة الـكئيبة ،
لأنها كالنفس لا تعرف عمراً ولا زوالاً

كلا ، انك لم تزايلى بصـــرى ،

(١) الكلمات التى بين الأقواس من كلام لامرتين

فاذا حيل بين عينى وبين رؤيتك
انقطع من هذه الأرض خبرى
واتصـل نظرى فى السماء بصورتك

وهناك تبــدين لى فى السماء
كما كنت فى يومك الأخير ،
حين طرت إلى مقامك الوضّاء
مع الصــباح المشرق النضير

جمـــالك النقى المؤثر يا حبيبتاه ،
يتبعــــك حتى فى ذلك الوجود ؛
وعيناك اللتان تنطفئ فيهما الحيــاة ،
يشـــعان ثانية بنور الخـــلود

وأنفـاس النســيم الهـــائمة ،
تحرك أيضاً شــعرك الطويل ؛
وخصـــله المتموجة الفاحمة ،
تعود فتسقط على صــدرك الجميل (١)

وظل هـــذا النقاب الحـــائر ،
يحلّى وجهـــك الوضـــاح ،
كأنما سدول الظـــلام الآخر ،
تنحسر عن محيا الصــباح

إن اللّهب السماوى لهذه الشمس ،
يجىء ويذهب مـــع الأيام ؛
وأنت تشرقين دائماً فى النفس ،
لحبى لا يعرف البرد ولا الظـــلام

أنت التى أسمعها فى الصـــحراء ؛
وأنت التى أبصرها فى السحاب والماء ؛

(١) أنظر قصة (رفائيل) الفصل العاشر والفصل الثالث عشر

فالموج يعكس صورتك فى عينىّ ،
والنسيم يحمل أصواتك إلىّ ،

وإذا خشعت الأصوات ونام الليل ،
وسمعت حينئذ همس الهواء ،
حسبتنى أسمعك تغمغمين فى أذنى
بكلماتك المقدسة العذاب

وإذا ما أعجبت بهذه المصابيح المنتثرة
التى ترصع رداء الليل الساكن ،
حسبتنى أراك فى كل نجمة مزدهرة ،
تسترعى بصرى بلألائها الفاتن

وإذا ما هب النسيم على الزهور ،
فأسكر النفس بنفحات العطور ،
كانت نفحتك هى الطيب الذى أنشقه
فيما ينشه هذا النسيم ويطلقه

إن يدك هى التى تجفف دموعى
حين أذهب فى حزن وبكاء
لأؤدى فى السر صلاتى وخشوعى
فى محاريب الدعاء والعزاء

وإذا نمت سهرت علىّ سهر الخائف ،
وبسطت جناحيك على آلامى ،
وأوحيت إلى بجميع أحلامى
وديعة كنظرات الخيال الطائف

وإذا قطعتْ يداك أثناء منامى
مجرى حياتى وأسباب أيامى
فأصحو — يانصف روحى العلوى —
بين حضنك الحنون القدسى

ثم تصبح نفسانا نفساً واحدة ،
كشعاعين متحدين من أشعة الفجر ،
أو نفسين ممتزجين من الأنفاس الصاعدة ؛
ولكنى لا أزال أردد أنفاس العمر ! !

الزيات

مقطوعات شعرية

لشاعر الهند العظيم الدكتور محمد اقبال

« من ديوان رسالة المشرق »

الملك لله

أضرم طارق النار فى سفائنه على ساحل الأندلس ، فقيل له هذا أفن ينكره العقل ! كيف نرجع الى الديار ، وقد شط المزار ؟ إن الشريعة لا تجيز ترك الوسائل ! فضحك وأصلت حسامه وقال : كل ملك ملكنا ، لأنه ملك ربنا

الحياة

سألت حكيماً : ما الحياة ؟ قال : خمر أمرُّها أطيبها . قلت : إنها دودة تنشأ من الطين . قال : بل وليدة النار كالسمندل . قلت : إن الشر مضمر فى فطرتها . قال : هى شر كلها إذا لم تعرف خيرها . قلت : إن غرامها بالمسير لم يبلغها منزلاً . قال : إن منزلها فى هذا الغرام نفسه . قلت : إنها ترابية ومرجعها التراب . قال : إن الحبة إذا شقت التراب فهى وردة ناضرة

الشقيقة

أنا الشعلة التى اضطرمت فى أحضان العشب من فجر الأزل ، قبل أن يُخلَق البلبل والفراش ، أنا أعظم من الشمس ، ولكنى منبثة فى كل ذرة ، وقد خلقت السماء شرارها من حرقتى : سقطت على صدر المرج لحظة فنبع من ترابى غصن ناضر فاستلب نارى وقال : تلبثى فى أحضانى قليلاً ، ولكن قلبى السليب لم يقر قراره ، فاضطربت فى ضيق الغصن حتى تجلى جوهرى باللون والرائحة ، فنثر الندى فى طريقى جواهر متلألئة ، وضحك لى الصبح ، وأطافت بى ريح الصَّبا ، وسمع البلبل من الورد أن نارى قد سُلبت ، فتأوه وقال : لقد اشترت ثوب الحياة غالياً

هأنذا أفتح صدرى لضوء الشمس وأحتمل منَّتها ، فمن لى بأن تعود نارى مشتعلة فى صدرى ؟

الحياة الخالدة

لا تحسبن الحانة قد بلغت نهايتها . فلا تزال فى عروق الكَرْم ألف خمر لم تُشرب . ذلك المرج جميل ، ولكن لا يجمل أن نعيش كالبرعم ! قضاء حياته ممزّق بأنفاس الصَّبا . إن تكن بالحياة خبيراً فلا تطلب ولا ترض قلباً خلياً من وخزات الأمل . عش كالجبل محكما مجتمع النفس ، ولا تعش كالهشيم ، فان الريح عاصفة والنار لا تهاب

عبد الوهاب عزام

البريد الأدبي

حماية الدولة للآداب

وهل نحن بحاجة إليها ؟

نقلنا إلى القراء فى العدد الماضى خلاصة تلك الفكرة الطريفة التى تتحدث بهـا بعض دوائر الأدب الفرنسى ، وهى وجوب تدخل الدولة لحماية الآداب القومية من منافسة الآداب الأجنبية كما تتدخل لحماية المحاصيل والصناعات القومية ، أو بعبارة أخرى وجوب معاملة الثمرات الأدبية معاملة النبيذ والقمح مثلاً من حيث الحماية القومية ، وذلك لأن سيل الأدب الأجنبى يتدفق الآن على فرنسا ويهدد مصالح كتابها ومفكريها تهديداً قوياً يظهر أثره فى هبوط الدخل الأدبى وقيم حقوق التأليف . وتساءلنا ماذا يكون من أمر هـذه الفكرة فى بلد كمصر ؟ وهل نحن فى مصر بحاجة إلى بحثها ؟ والجواب الذى يتبادر إلى الذهن لأول وهلة هو أن مصر لم تتقدم فى ميدان التفكير إلى الحد الذى تستطيع معه أن تكون بلداً مصدِّراً يبعث بثمار تفكيره إلى البلدان الأخرى ، فهى مازالت بلداً مستورداً ، يستورد أكبر قسط من غذائه الأدبى وينقله عن التفكير الغربى ، وان الثمرات الأدبية المحلية ليست فى حاجة إلى الحماية لأنها ليست من الكثرة أو القيمة بحيث تتأثر بهذه المنافسة الأجنبية القوية . وهذا صحيح من الوجهة العامة ، ولكنا نستطيع أن نستدرك عليه ببعض الملاحظات . وفى رأينا أن الأدب المصرى بحاجة إلى نوع من الرعاية والحماية المحلية من بعض النواحى ، ولسنا نقصد أن تفرض الضرائب الجركية أو تتخذ اجراءات لأية حماية ضـــد الآداب الأجنبية الرفيعة ، فنحن فى أشد الحاجة لاستيراد هذه الآداب ؛ ولكنا نعتقد أننا فى حاجة إلى الحماية من سيل الأدب الغربى الوضيع الذى ينساب إلى مصر من كل ناحية ، تحمله إلينا كتب ومجلات وصحف كتبت لطبقات وبيئات منحطة ، وتجد بيننا رواجاً عظيماً ؛ وقراء المجلات والصحف الأجنبية هنا يعرفون هـذه الحقيقة ، ويكفى أن يعرف الناشئون قليلاً من الانكليزية أو الفرنسية ليتهافتوا على اقتناء هـــذه النشرات الوضيعة الخطرة فى معظم الأحيان من الوجهة النفسية والأخلاقية : وهنالك أنواع من الأدب الأجنبى المتوسط أو الخفيف تروج بيننا رواجاً عظيما ، وهذه أيضاً يجب أن يوضع حد لذيوعها على حساب الأدب المحلى والصحافة المحلية لأنها ليست أقوم منها ولا أرفع ؛ ثم هنالك سيل الترجمة ؛ ومع أننا فى عصر ترجمة ونقل فى كثير من النواحى الفكرية ، فان هذا السيل يجرفنا بلا تحفظ ، ويطغى على الانتاج القومى بشدة . ومن الصعب أن نتحدث فى أمر الحماية الرسمية الفعلية فى هذه النواحى ، ولكنا نشعر فى أحيان كثيرة بالحاجة إليها . ولو أمكننا ببعض الوسائل المعقولة أن نحد من تدفق سيل الآداب الأجنبية المتوسطة أو الوضيعة ، وأن نحصر الترجمة فى حدود القيم المنتج ، لكان فى ذلك ما يشجع الآداب المحلية ، ويعضد الانتاج المحلى ؛ ولا شك أن انصراف القراء عن التهافت على هذه الأنواع من الآداب الأجنبية يقابله من الناحية الأخرى شىء من الاقبال على الأدب المحلى ؛ وإذا نما هذا الاقبال ، ترتب عليه حتما انتعاش الأدب المحلى وتقدمه ؛ والتعضيد أكبر عناصر التشجيع وشحذ العقول والهمم . وكلما زاد هذا الاقبال والتعضيد تقدمت الحركة الأدبية وارتفع معيار الانتاج الأدبى

على أن المسألة معقدة من الوجهة العملية . ومن الصعب أن نتصور الوسائل أو الاجراءات المعقولة التى يمكن أن تحقق بهـا مثل هذه الحماية دون مساس بسير الحركة العقلية ، وحركة الاقتباس الفكرى التى نحن فى أشد الحاجة إليها . وأصحاب هذه الفكرة فى فرنسا يجدون مثل هـذه الصعوبة فى التماس الوسائل العملية لتحقيقها . وكل ما يمكن قوله ، تمشياً مع أصحاب الفكرة هو أن الحماية الاختيارية هى خير وسيلة لحل المشكل ، أو بعبارة أخرى إن هذه الحماية يمكن تحقيقها بالتطوع والرغبة فى تشجيع الآداب القومية من جانب القراء والمثقفين ، وإغفال الآداب الأجنبية التى لا تحمل قيمتها أو نوعها على وجوب الانتفاع بها

وقد يعترض عشاق الثقافة الأجنبية بأن الانتاج الأدبى المحلى لم يرتفع إلى الحد الذى يحقق بغية المثقفين وطلاب المتاع الفكرى

الرفيع ، ولكن المحقق هو أن هذا التقدم المنشود لا يمكن تحقيقه دون تشجيع قوى فعال ؛ والطبيعي هو أن يتقدم التشجيع أولاً ، فاذا ظفر الانتاج المحلي بهذا التشجيع ، استطاع أن يظفر بفرص التقدم والصقل والنضوج

ميشيل آنجلو وعصره

منذ حين أصدر الكاتب المؤرخ الألماني هيرمان جريم كتاباً عن الفنان الايطالي الأكبر ميشيل آنجلو وعصره ، فكان لصدوره وقع عظيم في الدوائر الأدبيـة والنقدية . ومنذ أسابيع قلائل صدرت ترجمة فرنسية لهذا الأثر القوي ، فعاد الحديث عن قيمته الأدبية والفنية ، ولاريب أن الكتابة عن ميشيل آنجلو وعن عصره ليست يسيرة ؛ فقد كان آنجلو من أعظم العبقريات البشرية ، وكان عصره — القرن السادس عشر — من أعظم عصور التاريخ : كان عصر « الأحياء » الفكري ، وكان عصر البـابوية الذهبي ؛ وكان ميشيل آنجلو يمثل كل ما في عصره من عظمة وآمال ، وكان عمله رمزاً قوياً لخواص هذا العصر وأمانيه ، كان مثالاً ، ومصوراً ، وشاعراً ، ومهندساً عظيماً

هذا هو ملخص الصورة التي يقدم بها جريم بطل ترجمته ؛ وقد عاش ميشيل آنجلو وتوفي بين أعظم رجالات عصره . كان في فتوته صـديق لورنزو الأفخم أمير فلورنس ، وكان في كهولته مصور البابوية ومهندسها . كان صديق جوليوس الثاني ، وليون العاشر ، وهو الذي وضع التصميم الجديد لكنيسة القديس بطرس أعظم كنائس النصرانية ، وهو الذي رسم أبدع نقوشها ؛ وهو الذي أودع من ريشته أعظم بدائع الفن على جدران « كنيسة سكستوس » إحدى حلى الفاتيكان ، وصور عليها بالأخص أشهر وأبدع صوره « يوم الحساب » ؛ ومازال السائح المتفرج يقف ذاهلاً مأخوذاً أمام روعة هذه القاعة التي يشعر فيها بروح ميشيل آنجلو ترفرف عليه من سقفها وحول جدرانها

ويمثل لنا جريم ميشيل آنجلو في شبابه ونضجه رمزاً لمثل إيطاليا وأمانيها ، وفي كهولته وشيخوخته رمزاً لآلام إيطاليا ، ويمثل لنا حياته كلها بأنها صورة صادقة لعصر الأحياء كله . وأما عصر الأحياء الأيطالي فيصوره جريم أبدع تصوير ، ويبين لنا كيف كان هذا العصر يجر المعارك والتطورات الفكرية والاجتماعية والسياسية ، وكيف أن هذه المعارك كانت تتمخض عن مثل مايتمخض به عصرنا من المشكلات الاجتماعية والسياسية ، سواء في حقوق الفرد والجماعة ، وتنظيم الحكم والدولة أو غيرها من المسائل الكبرى

وثائق جديدة عن نابليون

ظهرت أخيراً حركة ترمي الى كشف كل ما يتعلق بنابليون بونابارت وعصره من الآثار والوثائق ؛ وبيعت في باريس مجموعات ثمينة من كتب الامبراطور وتحفه التي كانت في مكتبة ماليزون ؛ ثم ظهرت على أثر ذلك مجموعة كبيرة من رسائل الامبراطور الى زوجه الثانية مازي لويز النمسوية وعددها نحو ثلثمائة ، وعرضت للبيع في لندن واشترتها الحكومة الفرنسية ، وقد أشرنا الى هذه الرسائل وإلى محتوياتها في عدد سـابق . والآن تظهر في انكلترا وثائق جديدة خاصـة بأيام الامبراطور الأخيرة في منفاه بجزيرة سنت هيلانه . فقد نشرت جريدة « الصنداي تيمس » عدة رسائل لم تنشر من قبل ، كتبها ضابط انكليزي يدعى دنكان داروس كان من شهود أيام الامبراطور وساعاته الأخيرة الى أمه ، منها رسالة كتبت غداة وفاة الامبراطور ، بتـاريخ ٦ مايو سنة ١٨٢١ ، وأخرى في ١٧ مايو عقب الاحتفال بدفنه

وكانت هذه الرسائل في حوزة حفيد هذه السيدة . ولم تنشر من قبل قط ، وهي وثائق ثمينة مؤثرة ، عن المناظر والأقوال التي تتعلق بمرض الامبراطور الأخير وساعات نزعه ، ولحظة وفاته ، وكان الضابط دنكان داروس قد أرسـل الى حامية سنت هيلانه في المرحلة الأخيرة من اعتقال الامبراطور ؛ والرسالة الأولى عن وفاة الامبراطور مكتوبة من « ديدوود » ، والرسـالة الثانية من « لونجوود »

ولما ظهرت الحركة الأخيرة بجمع الوثائق النابوليونية سمت جريدة « الصنداي تيمس » الى الحصول على هذه الرسـائل ، ونجحت في احتكار حق نشرها ، وبدأت بذلك منذ ٢٣ ديسمبر ؛ وكان لنشرها وقع عظيم عنـد كل الذين يهتمون بهذا العصر ومأساة الامبراطور المنفى

تصويب

وقع في القصيدة الفرنسية التي نشرناها في العدد الماضي للآنسة النابغة (مي) أخطاء مطبعية نصححها فيما يأتي :

جاء في السطر الثاني caprieieux والصواب capricieux

وجاء في السطر الرابع عشر aû والصواب où

وجاء في السطر الثالث والعشرين attenàri والصواب attendri

وجاء في السطر الرابع والعشرين q'astucieux والصواب qu'astucieux

وجاء في صفحة ٣٦ في السطر الثالث من العمود الثاني : تبلغ ٨٥ والصواب تبلغ — ٨٥ (بزيادة علامة ناقص)

من هنا ومن هناك

الموجات القصيرة Les Micro - Ondes

بقلم ماركوني

إن استعمال الموجات القصيرة فى الاتصال بوساطة الراديو ليست جديدة عليّ ، فقد خصصت لها جزءاً كبيراً من تجاربى ، وصرفت فيها تفكيراً طويلاً منذ ثمانية وثلاثين عاماً . ففى سنة ١٨٩٦ أفهمت مهندسى محطات الأذاعة أن الأمواج التى طولها ثلاثون سنتيمتراً يمكن إرسالها بغير انقطاع فى حيز مليون من الكيلوسكلات

وفى هذا العهد ، بعد البحث والتجارب الطويلة التى قمت بها وقام بها غيرى ممن عاصرونى ، نجحنا فى استعمال تلك الموجات القصيرة حتى وصلنا إلى إرسالها إلى مسافة تقرب من عشرة آلاف متر

وأما من جهة النتائج التى وصلت إليها بين سنتى ١٩١٩ — ١٩٢٤ فى استعمال موجات ذات أطوال تتراوح بين مائة وستة أمتار فقد حملتنى على التخلى عن الطريقة الامبراطورية الموضوعة على أساس الموجات الطويلة والأستعاضة عنها بمحطات ماركونى الأصدارية التى تستعمل الموجات القصيرة المتتابعة ، وذلك فى الحقيقة هو الذى أدى إلى الانقلاب الحالى فى الأعمال التليفونية والتلغرافية باستعمال تلك الموجات القصيرة التى تندفع الى مدى بعيد ، ولقد كان لهذه النتائج أثر كبير فى نفسى دفعنى إلى الاهتمام بهذه الموجات

وأما الموجات الكهربائية المغنطسة التى يقارب طولها المتر ، فلنا أن نعبر عنها بالموجات المرئية ، لأن الأتصال بوساطتها ضرب من المحال ، إلا إذ تلاقت نهايات دائرة الاتصال كلها فى نقطة واحدة ؛ وعندئذ تكون الفائدة المنتظرة قد تمت بتمام هذا الشرط الأخير

وقد نهتنى تجاربى الكثيرة ألا أحدد شيئاً أساسه الفرض أو الحساب النظرى ، لأن ذلك كما نعلم مبنى على جهل بمعرفة العوامل المسببة ؛ وعلى العكس من ذلك وعلى رغم تكهنى بما ينافى ذلك الشرط ، فانني دائب البحث فى نواح أخرى ولو ظهرت لى صعوبات كثيرة فى أول الأمر

ولقد كان ذلك منذ ثمانيــة عشر شهراً على وجه التقريب عند ماصح عزمى على أن أستفيد من أبحاثى القياسية فى صفات هذه الموجات القصيرة ، وقد حصلت فى النهاية على نتائج ملموسة يوفر إدراكها معرفة ما يأتى :

(١) الأبعاد القصــيرة للمرسل L'emetteur والمستقبل le recepteur والعاكس le réflecteur الضرورية لنشر كمية كبيرة من القوى الكهربائية والحصول عليها

(٢) معاكسة الأضواء الضعيفة المسببة عن اهتزازات الكهربائية الطبيعية عند الاضطرابات الجوية

ولى أن أجزم بأن الأشياء الممكنة فى هذا الموضوع قد وسعت نطاق البحث فى الموجات الكهربائية التى لم توضع بعد على بساط التجربة ، والتى أفسحت المجال لتطبيق هذه الموجات فى الاتصال عن طريق الراديو

والاستعمال الدائم العملى للموجات القصيرة التى تكوّن حلقة متصلة بين الفاتيكان وقشتالة وجوندلفو لأكبر شاهد ، كما أعتقد ، يجعلنا نتفاءل بما ستحرزه هذه الطريقة الجديدة من النفع ، وما ستوفره لنا فى المستقبل ، إذا ما أبعدنا الاضطرابات الكهربائية الأخرى

وخير مكان يقع فيه تطبيق هذه النظرية هو ربط الجزر بعضها ببعض ، أو بعضها بالقارات ، أو ربط الجهات المختلفة بعضها بالأخرى ، على شريطة ألا تكون هذه الجهات بعيدة عن بعضها كل البعد

وتمتاز هذه الطريقة الأخيرة بعدم تأثرها بالضباب ، إذ هى أكثر ضماناً وأوفر أماناً ، وخاصة من ناحية الاحكام الكامل الذى يمكن الاعتماد عليه كلية فى تحديد الجهات تحديداً دقيقاً ، ومع ذلك فمن العبث الآن أن نقول الكلمة الأخيرة عن تحديد مدى الأذاعة بوساطة هذه الموجات القصيرة

وظهر لنا أخيراً أن من الممكن الأذاعة بين جهات مختلفة متباينة تبايناً لا يكاد يصدقه العقل ، فى مساحة تقارب نصف المعمورة . وأنذكر الآن تماماً ذلك المعهد الذى وصلت فيه إلى إرسال واستقبال موجات كهربائيـة بين شواطىء المحيط الأطلانطيقى المختلفة ، وكان ذلك عام ١٩٠١ ذلك المعهد الذى كان يعتقد فيه الرياضيون أن الاتصال بهذه الطريقة لا يمكن أن يصل مداه الى أكثر من مائة وسبعين ميلاً ، وفى كل الحالات السابقة الذكر قامت الطريقة الجديدة مقام الاشارات المرئية المضيئة فى كل تطبيقاتها على الوجه الأكمل ، إذ حققت هذه الطريقة منافع عظيمة بين المحطات البعيـدة وبين الحصون المتاخمة للحدود ، وخاصة فى الحالات التى يصعب فيها وضع أسلاك التليفونات وصيانتها إذا استثنينا الأكلاف الباهظة التى تتكلفها هذه الأسلاك

وتدخل هـذه الطريقة فى أعمـال كثيرة جديرة بعنايتنا ، منها إصـدار الأخبار والتلفزيون . ودرس ميدان هذه الأمواج التى لم تخرج بعد إلى حيز الوجود يتطلب ، كما يبدو لى ، إنشاء وسائل جديدة ، وإدخال اصلاحات كبيرة على الأجهزة الحالية

عن (لموا)

نهضة الموسيقى القديمة

عن هندمث

ظلت ألحان الموسيقى القديمة مستوحى الأجيال السابقة منذ عهد بعيد ، ومن واجب الفرد الذى يريد التوفر على دراسة هذه الموسيقى أن يرجع الى المعهد الذى ظهرت فيه فيدرسه دراسة عميقة ، كما أن تلك الدراسة لا تنهض وحدها بعازف قدير على توقيع نغماتها على أحسن وجه ، إذ يلزمه الى جانب ذلك أن يحيط باصطلاحات تلك الموسيقى ومظاهرها وأسرارها فى إبان ظهورها ، فان للزمن أكبر الأثر فى تطور الموسيقى بقدر ماله من أثر فى تغيير التقاليد والعادات

ولقد كان هندمث Hindmith أول من وفق الى ترديد الملاحم الألمانية القديمة التى سبقت ظهور الموسيقى باخ Bach ترديداً بلغ من الدقة والأتقان حداً كبيراً

إن الموسيقى مرآة العصر . فاذا كانت الموسيقى القديمة مرآة للعصور التى تمثلها فى تصورها للحياة وجمالها ، وكان ذلك مما يجب دراسته لـكمال ثقافة الموسيقى الفنية ، فهو وحده لا يكفى ؛ بل يجب لهذا الـكمال التوفر على دراسـة المؤلف وكثرة المشاهدة والاطلاع حتى يستخلص ما فى حياتها من رحيق ثم يعيدها فى نغمة صادقة تمثل عصره

والموسيقى البارع هو الذى يتلقى أحاسيسه عن عالم بعيد لم يصل بعدُ غيره إليه ، وأكبر الأمثلة على ذلك « بيبر » Bibcr ، موسيقى قصر أسقف سالزبرج ، فقد عاش ذلك الموسيقى الفذ فى عصر كانت الموسيقى الايطالية المنارة التى يهتدى بهـا كل موسيقى فى العالم . أما « بيبر » فأبى إلا أن يكون فريداً فى احساسه ، غريباً فى مشاهداته ، شاذاً فى تصوراته ، اهتدى بنور وحيه ولم يستلهم إلا نفسه ، فطبع اسمه عصراً فى تاريخ الموسـيقى وبقى قطعة خالدة ، وظلت موسيقى بيبر ورداً لمن جاء بعده من الموسيقيين أمثال موتسار « mozar » ، ثم أسفر القرن الجديد عن بيهوفن الذى يعتبر وحده عصراً من العصور الموسيقية

ومما يميز موسيقى العصر الذى جاء قبـل باخ عدم توافق نغمات المقطوعات واحتياج كل مقطوعة إلى آلة خاصـة تعزف عليها ولو تقاربت اصطلاحاتها ، ولم تتفق تلك النغمات إلا بعد عصر باخ بمدة طويلة

وليس جمال الموسيقى القديمة هو المقصود وحده ، وإنما يقصد بدراستها إلى دقة إدراك نغماتها القديمة التى تعبر عن شعور كان له فى يوم من الأيام رنين تستعذبه النفس ويستسيغه الوجدان ، وهو بعدُ مهبط الوحى للأجيال التى جاءت من بعـده . وكثير من الألحان القديمة التى قدر لها البعث من جديد فى القرن الماضى قد فقدت عذوبتها وسحرها القـديم وتلاشت كل معانيها ، فليس من العجيب إذاً ألا يجد لها السامع تأثيرا فى نفسه — أما فى عصرنا هذا فقـــد صحح كثير من أخطاء القرن الماضى ودنا الموسيقيون من الـكمال ، كما أنهم لا يعانون كثيراً فى معالجة الموضوعات الموسيقية القديمة كما كان ذلك من قبل ؛ ويرجع الفضل فى ذلك إلى سهولة إدراك الطريقة التى تعالج بها تلك المقطوعات القـديمة

ومما يدعو إلى السرور أن الجمهور قد أخذ يدرك ما للموسيقى القديمة من كال ، وما لها من قيمة ، كما أن إحياءها كان إحياء جديراً بالاحترام والتقدير

القصص

مدام بوفارى

لجوستاف فلوبير

تعليق وتلخيص محمد سليمان على

قسم الكاتب الخالد قصته الخالدة إلى ثلاثة أقسام :

فالقسم الاول يصف نشأة مسيو بوفارى إلى أن احترف مهنة الطب ، ويبين كيف اهتمت به أمه ، وكيف زوجته من أرملة سنها خمس وأربعون سنة ودخلها مئتان وألف فرنك . وقد ظن المسكين أنه سيبدأ بزواجه عهداً مستقلاً سعيداً ، ولكن امرأته أثبتت أنها « الفرس الأقوى » ، ففى المجتمعات يجب عليه أن يقول هذا ويمسك عن ذاك ؛ وكان لزاماً عليه أن يصوم كل يوم جمعة ، وأن يلبس ما تشير به ، وأن ينفذ أوامرها فيما يتعلق بالعملاء الذين توانوا عن الدفع ، وكانت تفتح رسائله وتنصت من وراء الحاجز حين يختلى فى غرفته الخاصة بالعملاء إذا كن نساء

ذهب يوماً يعود مريضاً فأعجبته ابنتــه (إما) ذات العيون العسلية التى تبدو لطول أهدابها سوداء ؛ وعاد بوفارى مريضه وكرر العيادة ، ثم ماتت زوجه فتزوج (إما) وكان سعيــداً ، « كان العالم ينحصر فى نظره فى محيط أثوابها . وكان يؤنب نفسه لعدم حبه إياها حبا أكثر ؛ وأحياناً كان يعود بعــد خروجه ليراها ثانيــة وهى ما تزال فى غرفتها تلبس ، وبينما كان يقبلها فى أسفل عنقها ، كانت تصيح هى فى وجهه »

وكانت قبل زواجها تظن أنها تحب . ولــكن السعادة التى كانت تتوقعها من الحب لم تظفر بها فظنت أنها خدعت ، ووطنت العزم على أن تكتشف تماماً معنى هذه المدلولات : السعادة ، الأهواء ، النشوات : التى كانت إلى ذلك الوقت تبدو لها جميلة على صفحات الـكتب

وانهارت أحلامها فى الحب وشهر العسل والزواج ، وأخذت تنسج لنفسها أحلاماً أخر . وبقدر ما كانت عــلاقتها الزوجية تتوثق كان فى نفسها تنافر داخلى ينمو ويزداد

« كان حديث شارل عمومياً كأفريز شارع تمشى عليـه أفكار كل انسان وأى إنسان فى أثوابها المادية دون أن تثير عاطفة أو ضحكاً أو تفكيراً . كان يقول إنه أثناء إقامته فى (روان) لم يجد لديه ما يدفعــه إلى الذهاب إلى المسرح ليرى الممثلين من باريس .. ولم يكن يعرف السباحة ولا لعب السيف ولا إطلاق الغدارة ؛ وفى ذات يوم لم يستطع أن يشرح عبارة خاصة بركوب الخيل قرأتها فى قصة : أما يجب على الرجل أن يعرف كل شىء وأن يعـــلم المرأة انبساط الأهواء ولذائذ الحياة وأسرار العيش ؟ ولــكن شارل ماعلم شيئاً وما عرف شيئاً ؛ وما رغب فى شىء . كان يعتقد أن زوجه سعيدة وهى تتعذب تحت هدوئه الذى لا يضطرب وسكينته التى لا تخف »

وبرغم ذلك كانت تمنحه حبها . فى الحديقة ، فى الليالى القمرة ، كانت تعيد على سمعه كل الأغانى الوجدانية التى حفظتها عن ظهر قلب . ولــكنها فى النهاية لا تجد زوجها ازداد غراماً ولا حماسة . « ولما ضربت زماناً على الصخرة الجاثمة على قلبها دون أن تبعث منها شرارة ما ، كانت تجد صعوبة يسيرة فى إقناع نفسها بأن غرام شارل لا يعد مفرطا بعد »

وعكفت على قراءة مجلات السيدات والأزياء والأثاث ابتغاء التسلية ، وعلى قراءة بلزاك وجورج ساند لتنقب فيهما عن الأرضاء الخيــالى لأهوائها الشخصية . وكانت ذات أطماع : لِمَ لم تكن زوجة لعالم يدوّى اسمه فى كل مكان ؟ وبدأت تكره زوجها لقلة طموحه وأصبحت تجد حياتها مملة جوفاء

والحق أنها كانت تنتظر حادثاً فى حياتها . كانت تصحو إذا تنفس الصبح فتظن اليوم قد حل . وتنصت إلى كل حركة ، حتى إذا جاء الغروب أمست أحزن من قبل ، وحنت إلى الغد .

ولما كانت تضجر من مدينة (توست) ظن زوجها أن سبب الداء حادث محلى . وقرر أن ينتقل إلى بلدة (بونفى ـ لاباى)

وفى القسم الثانى يصف الانتقال الى البلدة الجديدة ، وتعارفهما للصيدلى هوميه وليون كاتب المحامى . ويبدأ الحديث بين هذا وبين مدام بوفارى فيكتشفان بينهما تمازجاً فى الأفكار وتشاركا فى العواطف ، فكلاهما يحب الطبيعة والموسيقى ، فمدام بوفارى تقول :

ـ آمل أن أجد طرقا جميلة فى هذه الأنحاء

ـ يؤسفنى أن أقول إنها قليلة . هناك مكان يدعونه (المرعى) فوق مرتقى التلال ، عند حافة الغاب ، ولقد طالما قصدته فى الآحاد ومعى كتاب كى أرى الغروب

ـ لست أظن أن هناك ما هو أجمل من الغروب ، ولاسيما عند شاطئ البحر

ـ أوه ، إننى أقدس البحر !

ـ ألا تظن أن العقل يبدو أكثر حرية حين نواجه ذلك الخضم غير المحدود ، وأن أرواحنا لتتسامى حين نسبح فى تأملاته ، وأنه يوحى إلينا بالأفكار عن المثل العليا وعن اللانهاية ؟

ـ كذلك الحال فى مناطق الجبال

واندفعا يتحدثان عن الموسيقى الألمانية ، والأوبرا الايطالية ، إلى أن قال زوجها رداً على كلمة لهوميه عن تنسيق الحدائق :

ـ زوجتى لا تعنى بذلك ، إننا ننصحها بالرياضة ، ولكنها تفضل أن تظل فى غرفتها تقرأ

وقال ليون ـ هذا ما أفعل . وإنى لعلى يقين بأنه ما من شيء يفوق الجلوس فى المساء بجوار الموقد مع كتاب نفيس ، بينما الريح تسفع زجاج النوافذ ، والمصباح يضيء ويلمع فى الغرفة

وقالت وهى تحدجه بعينيها السوداوين النجلاوين ـ هذا ما يختلج بنفسى

ـ وينسى المرء كل شيء بينما الساعات تتعاقب . ويجول فى البلاد التى يظن أنه يراها ، وأما أفكاره التى تحملها الحوادث المختلفة فانها تجد اللذة كل اللذة فى كل تفصيل ، أو تتبع سير المخاطرات والحوادث ، وتصبح جزءاً من الشخصيات المختلفة ، ويتخيل المرء أن نفسه هى التى تتنفس فى ملابسهم »

ووضعت مدام بوفارى طفلة سمتها برتا وتركتها عند امرأة ترضعها

وكان ليون يفكر فيها وهى تفكر فيه ، وتراقبه وهو يمر تحت نافذتها إلى محل عمله مرتين كل يوم . وكانوا أحياناً يجتمعون فى المساء ، بوفارى وهوميه يلعبان الورق ، أما ليون فينصرف إلى الحديث مع مدام بوفارى

وأخيراً قرر أن يصرح لها بحبه . إلا أنه كلما عزم لا يجد الشجاعة . وكان يكتب الرسائل ثم يمزقها . وكانت شجاعته تفارقه فى حضرتها ، أما هى فلم تسأل نفسها إن كانت تحبه ، فنى اعتبارها أن الحب يأتى فجأة مع دوى قاصف وبرق خاطف ، عاصفة من السماء تهب على الحياة فتقلبها رأساً على عقب ، وتعبث بالارادة كما يحمل الهواء ورقة جافة وتلقى بالقلب فى هوة مالها من قرار

ولكنها كانت تراه يتقرب اليها ، وتحصى حركاته وكلماته عند ما تستلقى على فراشها ، وتستعيد نظراته ثم تقول لنفسها وهى تضم شفتيها كأنما تتأهب لقبلة « ما أبهج ذلك ! أهو كلف ؟ وبمن إن لم يكن بى ؟ » ولكنها لم تشجعه . وتظاهرت بأنها تحب زوجها . وكانت كلما أحست بأنها تهواه ، قاومت لتقلل من شعورها . وكانت تأمل من ليون أن يفهم ذلك . وكلما همت بتأنيب نفسها عادت تفتخر وتقول لنفسها « إننى شريفة »

وأخيراً ظن الشاب أنها لا تريده فترك البلدة إلى باريس يلى ذلك لقاؤها بمسيو رودولف بولانجيه الشاب الغنى الجميل الخبير بالنساء والغرام . يقرأ فى عينيها مللها من حياتها وزوجها فيرغب فيها ويضع لذلك خطة محكمة وتساعده الظروف فيظفر بها : وتبدأ حلقة من الحب القوى المشبوب الجارف . وتندفع المرأة حتى تصل إلى درجة التهور . وكلما ازدادت لعاشقها حباً ازدادت لزوجها مقتاً . ولأجل عشيقها الذى يملك ثروة من التجربة أخذت تعتنى بنفسها وتبالغ فى الزينة والتأنق . وأعطته مفتاح الحديقة الخلفى ، فكانا يتقابلان طرفاً من النهار وزلفاً من الليل ، وفى يوم حضوره كانت تملأ الغرفة بالأزاهر ، وتتزين بكل ما تملك من حلى . ولم يعاتبها شارل على تبذيرها قط

وكان ليريه البائع المتجول يجاب اليها كل ما تطلب ويغريها بطلب المزيد ، وما عليها إلا أن توقع على صكوك يقدمها لها فيصبح العزيز ملكاً لها . ولما ألح فى طلب نقوده بعد زمن ، دفعت له مالاً أتى لزوجها من عميل ، ولم تخبره بذلك

وأخذت تغدق على عشيقها الهدايا ، وتقول له متدللة :

ـ « حينما تدق الساعة اثنتى عشرة مرة فى الليل يجب أن تفكر فىّ » . فاذا اعترف لها بأنه لم يفعل كانت تؤنبه ، ثم تختم بكلمتها الأبدية

ـ « أمغرم بى أنت ؟ »

ـ « أجل . طبعاً »

ـ « كثيراً ؟ »

ـ « مافى ذلك شك »

ـ « ولم تحب غيرى ، هل فعلت ؟ »

– « اتظن أنى كنت عذراء حين تلاقينا . »

ثم تبكى فيترضاها فتقول :

– « ذلك لأنى أحبك كثيراً . أحبك حتى لا أطيق الحياة بدونك . وأحياناً أقول لنفسى . أين هو ؟ ربما ينعم بالحديث مع نساء أخريات . هن يبسمن له وهو يدنو منهن . ولـكنك لا تهتم بهن ، أليس كذلك ؟ كثيرات من يفقننى حسناً ، ولـكنى أتقن الحب أ كثر منهن . إننى خادمتك وخليلتك ، وأنت مليكى ومعبودى . كم أنت رحيم وجميل وماهر وقوى ! »

وبدأ المعبود كعادته يسأم العاطفة العارية والكلمات المعادة .

ولما عيل صبرها من زوجها وأمه ، قررت الفرار مع عشيقها وأخبرته بعزمها . فأخذ يسوف ويؤجل ، وهى تؤمل وتستعد . وأخيراً حل الموعد المضروب ، وبدلاً من أن يحضر أرسل اليها كتاباً يخبرها فيه بأنه لأجلها لن يطاوعها على فكرتها ، ويريها أن فرارهامعه عاقبته فى النهاية وخيمة عليها ، ويختمه بقوله : « . . إننى أعاقب نفسى بالنفى للضرر الذى سببته لك . سأذهب بعيـداً . لا أدرى أين . لا تنسى الرجل البائس الذى تسبب فى شقائك ، وعلمى ابنتك اسمى حتى تذكره فى صلواتها . وحين تقرئين هذه الأسطر البائسة أ كون بعيداً ، إذ يجب أن أتجنب الأغراء حتى لا أراك ثانية . كونى شجاعة . سأعود ، وربما نستطيع بعد أن نتحدث بهدوء عن حبنا الأول ، وداعاً . . »

ولما قرأت الخطاب أغمى عليها ، ومرضت ثلاثة وأربعـين يوماً . وفى أثناء ذلك استدان زوجها ثمن الأدوية ، وتدخل (ليريه) وتمكن أن يجعل بوفارى يوقع على كمبيالة لمدة ستة أشهر بالأشياء التى أخذتها مدام بوفارى . وبعدها طلب بوفارى من الرجل ألف فرنك يدفعها له بعد سنة سبعين وألفاً

وأخيراً تحسنت صحتها قليلاً ولـكنها أحست الزهد ، وألح زوجها أن تحضر حفلة تمثيل فى روان وهناك قابلا ليون

وفى القسم الثالث تبدأ مع ليون على أنقاض الغرام الأول حلقة غرام آخر مستهتر عنيف . والحق أنها قاومت فى مبدإ الأمر . فهى ما زالت متشائمة خائرة تحت تأثير الصدمة الأولى . إلا أن ليون الذى غيرته الحياة الباريسية حملها فى تيار جارف . وفى فندق فى المدينة أخذا يلتقيان يوماً كل أسبوع . وكانت تتذرع أمام زوجها بأنها تتلقى دروساً فى البيانو على معلمة فى روان

واندفعت مرة أخرى فى شراء هداياها فزادت ديونها وتعددت الصكوك وذاق ليون معها للمرة الأولى رقة الاناقة النسوية التى لا يعبر عنها وصف ، وأصبحت لا غنى لها عن لقياه ، وكانت تذهب لتدعوه من محل عمله ، وترتعش إذا فـكرت أن حبه قد يتلاشى يوماً ما

وبدأ ليريه يحاصرها مطالباً بنقوده ، عارضاً كمبيالات أخرى ، وخضعت لسحر النقود فأخذت توقع عليها وتندفع فى متعتها

وأخيراً حول ليريه بضعاً من هـذه الـكمبيالات إلى مالى آخر . ولـما ذهبت تسأله جلية الخبر جعلها توقع على أربع كمبيالات أخر ، وأخذت ترسل إلى عملاء بوفارى المدينين وتطلب النقود منهم وترجوهم ألا يخبروه « لأن ذلك يؤثر فى كبريائه . »

وفى ذات يوم استلمت ورقة حجز رسمية . وأرسلت لليريه وهى دهشة . وصارحها الرجل بأن ذلك هو السبيل الوحيد لاسترداد نقوده . ولم يقبل منها أى توسل أو رجاء

وذهبت على عجل إلى ليون وطلبت منه أن يبحث لها بأى وسيلة عن ثمانية آلاف فرنك فلم يفلح ، فعادت أدراجها ذاهـلة مدحورة . وفى الصباح التالى نشر الاعلان الرسمى للحجز فى الميدان

ونصحتها خادمتها أن تذهب إلى مسيو (جيللومين) المحامى الغنى . فذهبت تشكو اليه ليريه وقصت عليه المسألة فقال :

– ولـكن لِمَ لَم تخبرينى السبب ؟ لـماذا . . . أخائفة أنت منى ؟ أرجح ان لدى عذراً للشكوى . فما نكاد نتعارف ، لـكنى أعترف لك بأنى أشد العبيد تفانياً ، وأملى ألا يخامرك فى ذلك شك

وأمسك بيدها وانكب يقبلها بشراهة ، وأبقاها على ركبته ، بينما كان يعبث بأناملها ، وأحست بأنفاسه على خدها ، وقالت :

– « سيدى انى أنتظر » وشحب وجه الرجـل فجأة وقال « ماذا ؟ » قالت : – « النقود . »

فقال : « لـكن . . . » ثم أجاب الرغبة الحادة قائلاً : « حسن . أجل ! » وركع وهو يقول « بحق الرحمة ، امكثى ! » وطوق خصرها بذراعه . فاندفع الدم إلى وجهها وتراجعت قائلة : لا ! سيدى أنت تنتهز خطورة مركزى بحماقة . إننى أستحق الرحمة ، ولـكنى لست للبيع . » وخرجت فى ثورة من الهياج والغضب

وخطر لها فجأة أن تذهب الى رودولف . فدهش لرؤيتها . ولم تخبره بمطلبها بادئ الأمر . ورحب بها وأظهر أسفه لانفصالها واندفع يقول إنها المرأة الوحيدة التى أحبها ورجاها أن تخبره بما يزعجها . ولـما طلبت منه أن يقرضها ثلاثة آلاف فرنك تراجع وأخبرها بأن هذا المبلغ غير موجود لديه

فقالت « ليس لديك ! كان الأحرى أن أوفر على نفسي هذا

الذل . لم تجنى بتاتاً ، ولست خيراً من الآخرين . »

وخرجت وهى تكاد لا ترى . ومرامامها الماضى سريعاً . وشعرت بأنها ستجن ، وبأن روحها تتسرب منها كما ينزف الدم من الجريح . وأخيراً دخلت من الباب الخلفى لصيدلية (هوميه) وهو يتمشى . واستطاعت أن تحصل على مقدار من السم ، وعادت إلى منزلها . ووجدها زوجها المسكين تكتب خطاباً ، ولما سألها عما حدث أجابته مشيرة إلى الخطاب « يجب أن تقرأ هذا غداً . » ورجته أن يتركها وحدها ، استلقت على الفراش ، وبدأت تظهر عليها أعراض السم ، وأحست بالظمأ وبطعم الحبر . وسألها زوجها عما تشكو فلم تجب . وبعد قليل بدأ القئ . وأصبح وجهها أزرق اللون ، وأخذت أسنانها تصطك ، وبصرها يضطرب ، ولما عاد يسألها فى قلق أشارت إلى الخطاب . ولما قرأه صرخ طالباً المعونة . وحضر الصيدلى هوميه ، وأرسلا إلى طبيبين ، واضطربا فى غمرات من الدهشة الذاهلة ؛ ثم ارتمى شارل على الفراش ينتحب . فقالت له :

ــ لا تبك ، فلن أحتمل زيادة على ذلك

ــ لماذا ؟ ما الذى دفعك إلى ذلك ؟

ــ كنت مرغمة يا صديقى

ــ أما كنت سعيدة ؟ أهى غلطتى ؟ لقد فعلت كل ما أستطيع

ــ بلى ، ذلك حق . . . أنت طيب جداً

وعز على الرجل فراقها وقد أقرت أنها أحبته أكثر من أى لحظة خلت . لم تعد تكره أحداً الآن . والصوت الدنيوى الوحيد الذى كانت تسمعه هو عويل قلبها المسكين ، الذى كان هادئاً خافتاً ، كالصدى الأخير لموسيقى بعيدة . وقالت وهى ترفع نفسها على مرفقها « أحضروا طفلتى . »

وحضرت وخاطبتها ثم أبعدتها . وأتى الطبيب ، ولكنها بدأت تبصق دماً ، وبدأت أعضاؤها تتشنج ، وتغطى جسمها ببقع سمراء ــ وحضر الطبيب الآخر فرآها ثم قال لزوجها :

ــ كن شجاعاً يا صديقى المسكين فما نستطيع شيئاً

ماتت المسكينة فأخذ كل شخص يستغل الموقف . معلمة الموسيقى تطلب أجر ستة شهور مع أن مدام بوفارى لم تأخذ درساً واحداً ، وصاحب المكتبة يريد اشتراك ستة شهور الخ

وأرسلت مدام ديبوى تنبئه بزواج مسيو ليون ديبوى بالآنسة ليوكادى ليبوف . وكتب شارل يهنئها ويقول : « لشد ما كان يسعد زوجتى أن تعلم ذلك ! »

وفى ذات يوم وهو يهيم بالمنزل عثر فى الغرفة العليا على كرة من الورق الرفيع ، ففتحها فاذا بها خطاب رودولف الأخير ؛ وكانت صدمة عنيفة . ورأى حرف (ر) وعرف من هو ؛ ولكنه عاد يقول : ربما كان ذلك تجاذباً روحياً فحسب . لقد كانت محبوبة من كل إنسان

ولكى يسعدها وهى ميتة كان يعيش كما كانت تهوى وتفكر . كان يلبس أحذية لامعة ، وربطات رقبة بيضاء ، ويضع على شاربه الأصباغ ، ويستدين المال بالكمبيالات -- وبالجملة كانت تؤثر فيه من وراء اللحد

واضطر أن يبيع الأثاث . إلا أنه لم يمس غرفتها بل ظلت كما كانت . وكان يذهب اليها دائماً بعد العشاء ، ويضع المنضدة المستديرة بجوار المدفأة وكرسيها بجانبها وكرسيه بالجانب الآخر ؛ واحتراماً لها لم يفتح درجها السرى الخاص . ولكنه جلس أمامه يوماً وفتحه . وكانت كل خطابات ليون فيه . فقرأها وأخذ يبكى ويصرخ ، ثم وجد رسائل رودولف وصورته أيضاً

ودهش الجميع للانحطاط الذى عراه ، وانقطع عن الخروج ورفض أن يعود مرضاه . ولكن بعض المتطفلين كان يتسلق سور الحديقة المرتفع ويدهش إذ يرى الرجل فى ثياب رثة ، وحال سيئة . وفى الأماسى الصيفية كان يصطحب ابنته إلى المقبرة ، فلا يعودان إلا بعد أن يسدف الليل

وذهب يبيع جواده فقابل رودولف ، فدعاه هذا فى جرأة ليشرب زجاجة من الجعة بالحانة . وأمام الرجل تاه شارل فى أفكاره . وأمام الوجه الذى أحبته كاد يظن أنه يرى شيئاً منها . كان ذلك عجباً . وأوشك أن يتمنى أن يكون ذلك الرجل . ولم يصغ لحديثه ، ولكنه قال أخيراً :

— « إننى لا أحمل لك حقداً » ووضع رأسه بين يديه ، وقال فى صوت ضعيف : « لا أحمل لك حقداً » . ثم أضاف هذه الكلمات الرفيعة وهى المرة الوحيدة التى قال فيها شيئاً غير عادى :

— « وكانت غلطة القدر »

وفى الساعة السابعة من اليوم التالى وكان جالساً على مقعد فى ممشى الحديقة جاءت برتا الصغيرة التى لم تره منذ الأصيل لتدعوه الى العشاء . وكان رأسه مسنداً الى الحائط ، وعيناه مغمضتين ، وفمه مفتوحاً ، وخصلة من الشعر الفاحم فى قبضة يده ، وقالت « تعال يا أبت . » وظنته يريد أن يداعبها ، فدفعته بلطف فسقط على الأرض ميتاً !

محمد سليمان على